دار النيل والفرات للنشر والتوزيع



الكتاب الفائز بالمركز الأول
فى مسابقة شاعر النيل والفرات
الدورة الأولى - ديسمبر 2017
فرع الدراسات النقدية

د. يسرى عبد الغنى

عقادى وأفتخر

دراسة

الطبعة الأولى 2017

بطاقة الكتاب

عنوان المؤَلَّف : عقادى وأفتخر

المؤلِّف : د. يسرى عبد الغنى

التصنيف : دراسة

رقم الإيداع : 23903 - 2017

عدد الصفحات : 128 صفحة

رقم الإصدار الداخلى : 81

تاريخ الإصدار الداخلى : 12 / 2017 طبعة أولى

الكتاب الفائز بالمركز الأول فى مسابقة شاعر النيل والفرات

ولقب ودرع شاعر النيل والفرات – الدورة الأولى - ديسمبر 2017

فرع (الدراسات النقدية)

دار النيل والفرات للنشر والتوزيع

سجل تجارى : 58365

بطاقة ضريبية : 165-5-00031-572-01-35

رقم التسجيل : 544-662-202 2017-7

E-mail: alnile waalforat@yahoo.com

twitter: النيل والفرات

youtube: alnile waalforat@yahoo.com

facebook: alnile wa alforat

هاتف : 01202541192 - 01116202218 - 01011256943

دار النيل والفرات للنشر والتوزيع

أسسها الشاعر ناجي عبد المنعم

الشرقية - العاشر من رمضان - مجاورة ١٣ - عقار ٣٠٤ - الدور الثانى - أمام سنتر ١٣

رؤية الناشر

مسابقة مفتوحة !! مُحررة من كل القيود ، لا تتقيد بفكر أو تَوَجُّه ما ، لا تتقيد بسن ، الهدف منها تقديم المبدعين الحقيقيين للساحة الأدبية – حلم طالما حلمنا به – وتحقق بفضل الله ، لما انطلقت الدورة الأولى لمسابقة شاعر النيل والفرات العربية فى أول سبتمبر 2017 وتقدم لها أكثر من ستمائة شاعرا وأديبا من مختلف البلدان العربية ، ودخل التصفية الأولى 29 شاعرا وأديبا بعدما تم استبعاد كل المشاركات التى لم تلتزم بقواعد الكتابة فى الأفرع الأربعة (الشعر الفصيح وشعر العامية – الدراسات – القصة والرواية)

واليوم تفخر وتتشرف دار النيل والفرات للنشر والتوزيع أن تفى بوعودها بطباعة وتقديم تسعة كتب للمكتبة العربية ، نجزم أنها الأفضل على الإطلاق لشعراء وأدباء لهم رؤى ومنهج ، وبعد تقييم من لجنة تحكيم موقرة على مستوى عال فألف ألف مبروك للساحة الثقافية والمشهد الإبداعى هؤلاء النجوم أصحاب التاريخ والفكر الهادف الجاد

ناجى عبد المنعم

رئيس مجلس إدارة

دار النيل والفرات للنشر والتوزيع



الإهـــــــــداء

إلى

العقاد

وكفى ..

(1)
عندما يكون الإنسان كثيرًا بنفسه وبعلمه وثقافته

تحت شمس : صعيد مصر ، وفي أسوان سنة 1889 ولد الأستاذ / عباس محمود إبراهيم مصطفى العقاد ، وإن كان العقاد أسواني الميلاد والمنشأ ، فهو ليس أسواني الأصل .. كان والد العقاد أصلًا من النازحين إلى أسوان من شمالي مصر ، وعمل موظفًا بأسوان .

وإذا تجاوزنا المولد ، وحضانة الأسرة نجده في مكتب (كُتاب) القرية يتعلم القراءة والكتابة على عادة أهل زمانه ، فإذا بلغ السابعة التحق بالمدرسة الإبتدائية التي انبثقت منها أولى ملامحه الشخصية ، وشهدت تفوقه على أقرانه ، وإعجاب الأستاذ الشيخ الإمام / محمد عبده بإنشائه عندما قام بزيارة المدرسة التي كان بها .

ولكن ظروف الأسرة وإن حالت دون استمراره في التعليم بعد الإبتدائية ، فعمل في وظائف مختلفة ، لم تحل دون متابعته لثقافة عصره ، وشغفه بالأدب الذي تغلبت نزعته عليه .

لقد منيت مصر بالإحتلال البريطاني سنة 1882 ، وولد العقاد في الثامن والعشرين من شهر يونيو 1889 ، وكأن مصر بعد الغاشية قد ولدت من جديد .. فإن وليد أسوان المصرية الدافئة كان حدثًا ضخمًا في حياتها هز فيها كل شيء : الأدب ، والسياسة ، والوزارات ، والأحزاب السياسية ، بل والملك نفسه أكبر رأس في البلاد .

ولد العقاد في بيت عرف صاحباه بحب العزلة وطوال الصمت المثوب بالورع والتقوى والتقى والصلاح ، فقد كانت والدته من أسرة تنسب نفسها إلى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وسواء أصحت هذه النسبة أم لم تصح فإنها تضفي على القائلين بها جوًا خاصًا يليق بها .

أما والده فقد كان على رزانة ووقار ، يؤدي عمله الوظيفي بأمانة وإخلاص والتزام تام ، حيث كان يعمل أمينًا للمحفوظات بأسوان ، ورغم تواضع دخله الذي يكفيه هو وأسرته بالكاد فهو لم يستغل وظيفته على وجه الإطلاق ، ومثل هذه الظروف تشكل محكًا لأخلاق الرجال .

لقد تأثر العقاد تأثرًا كبيرًا بوالده ، فكم من مرة كان يستيقظ وهو طفل صغير على صوت أبيه وهو جالس على سجادته يقرأ القرآن الكريم ، ثم يتلو بعض الأوراد والأذكار ، مسبحًا على مسبحته ، كل ذلك قبل وبعد صلاة الفجر ، كما كان يذكر دائمًا اجتماع والده مع بعض أصدقائه في مضيفة البيت يتناقشون ويتحاورون في السياسة والأدب والفكر وشتى شئون الحياة .

وقد ورث العقاد عن والديه الورع والتقوى والصلاح ، وكذلك الرزانة والوقار ، وأيضًا الأمانة والإخلاص في العمل ، وقد مر العقاد بمحن عديدة كانت محكًا جوهريًا لأخلاقه فتحملها ، وعبر منها خير عبور ، بالصبر والعزم والرجولة وقوة الإرادة .

تلقى العقاد تعليمه الإبتدائي في أسوان ، وعمل في وظيفة متواضعة فترة من الوقت متنقلًا بين محافظات الشرقية والفيوم ، ثم استقال من وظيفته الحكومية في وزارة الأوقاف ، ولكنه سرعان ما ترك هذا اللون من الحياة التقليدية الضيقة المحدودة ، ودخل العملاق عالم الصحافة والأدب والفكر ، معتمدًا على نفسه ، وعلى فكره وعلمه وثقافته وجهده ، فكتب في أشهر الصحف المصرية التي كانت تصدر على عهده ، مثل : الدستور ، والأهرام ، والجهاد ، وروز اليوسف ، والبلاغ ، والكتلة ... وغيرها ..

أما الصحف التي أمدها بمقالاته فهي أكثر من أن تعد أو تحصى في هذا المقام ، أذكر لك منها : الدستور ، والبيان ، والمؤيد ، والحرية ، والأهالي ، والرشيد ، والبلاغ ، والسياسة الأسبوعية ، والمؤيد الجديد ، وجريدة مصر ، وكوكب الشرق ، والجهاد ، والثريا ، ومجلة الرسالة ، ومجلة أبوللو ، المجلة الجديدة ، و السياسة اليومية ، وروز اليوسف ،

والضـياء ، ومصـر الفتـاة ، والهـلال ، والأفكـار ، و الكتلـة ، والأسـاس ، والأهرام ، والأخبار ، وأخبار اليوم ، والكتاب ، والأزهر ، ومنبر الإسلام .. إلـخ .. إلـخ .. ، وقـد قـام الباحـث بعمـل قائمـة حصـرية مـن دار الكتـب المصرية بجميع المجلات التـي نشر فيها الأستاذ العقاد ، وسنوات النشر ، نأمل في نشرها حتى يستفيد القارئ المفضال منها .

لقـد أعـرض الأسـتاذ عـن الوظـائف إلـى الأدب ، وكـان مقالـه (الإستخدام رق القرن العشـرين) والـذي نشـر فـي جريـدة (الجريـدة) سـنة 1907 ، إرهاصًا بذلك ، ثم جاء إلـى القـاهرة وتنوعت اتجاهاتـه مـن خـلال الوظـائف والأدب والصـحافة ، وقـد أفـاده كـل ذلـك صـقلًا وخبـرة ، وعلمًـا بحقائق بلده ومواطن الإصلاح منه .

لقد تجمعت عوامل مختلفة من الأسرة والمدرسة ، وأعلام العصر وظروف المدينة التي ولـد فيها ، وقراءاتـه المتنوعـة ، واستعداده فـي تكوين شخصيته ، وتفجير ينـابيع الأدب فـي نفسـه حتـى صـار علمًـا مـن أعلامـه ، على نحو ما نقرأ في مقالات العقاد وفـي شعره ، إلا أن المقالـة كانت الوجـه الأغر في أدبه كما أجمع على ذلك أساتذتنا الذين تعلمنا على أيديهم .

ويشهد لرسوخه في عالم الأدب ، وعلو كعبـه فيـه ، وإعزازه لدولـة الأدب شهادة عارفيه والمقدرين لأستاذيته من أعلام عصـره ، وأدبائـه ونقـاده مما لا يتسع لـه المجال في هذه السطور .

لقد ثقف العقاد نفسـه بنفسـه ، وخـاض غمـار السياسـة ، ووقـف ضـد الألمـان فـي الحـرب العالميـة الثانيـة ، فهو دائمًـا وأبـدًا مـع الحريـة والكرامـة الإنسانية والعدالة الاجتماعية ، وضد الإستبداد والظلم والعسف ، ونفـي إلـى السودان ، كل ذلك وقد كتب مؤلفات تجاوزت السبعين كتابًـا ، ومـن أشـهرها العبقريـات ، وقـد أسـهم مسـاهمة كبيـرة بأحاديثـه فـي الإذاعـة المصـرية ، وبمقالاته المتنوعة في الصحف والمجلات .

لقد عبر أستاذنا / عباس محمود العقاد في مقالاته الصحفية عن آراء حرة جريئة في الأدب والسياسة والعلم والفكر ، وكانت بعض آرائه ومقالاته السياسية سببًا في دخوله السجن متهمًا بتهمة العيب في الذات الملكية ، وقضى تسعة أشهر به .

ويجدر بالذكر هنا أن العقاد برع في كتابة المقالات الدينية فدافع فيها بموضوعية وعقلانية عن الإسلام ، و تحدث عن مستقبله ، وثوب جميع أفكاره بالإجتهاد ، كما كتب المقالة الأدبية ، ومنها : الصورة الشخصية (القلمية) ، والمقالة الوصفية ، والمقالة الملحمية النزالية (مقالات المعارك الأدبية والفكرية) ، والمقالة الثقافية ، والمقالة التأملية ، ومقالة الدراسة الأدبية ، ومقالة دراسة الشخصيات العلمية والفكرية ، كما كتب العقاد المقالة النقدية بأنواعها ، وكتب المقالة العلمية والفلسفية .

كما أن آراءه الجريئة التي كانت تهدف إلى صالح الأمة ورقيها ، عرضته للإضطهاد في نواح كثيرة من الحياة ، فعانى من شظف العيش فترة من الزمن ، وباع مكتبته القيمة أكثر من مرة ليأكل بثمنها ، ومنع من الكتابة أكثر من عامين ، ولكنه لم يلن أو يستسلم أو يجبن ، غير أن السياسة نفسها كانت من عوامل شهرة العقاد ، وكذلك اختياره عضوًا بمجلس الشيوخ فترة من الزمن .

نعم ، قد تساعد السياسة على ذيوع شهرة أو صيت أحد الأدباء أو الكتاب ، ولكنها من رابع المستحيلات أن تصنع أديبًا أو مبدعًا معطلًا من المواهب والقدرات والمهارات ، أو مجردًا من العلم والفكر والثقافة ، لقد كانت السياسة أحد العوامل التي ساعدت على شهرة العقاد ، كما أنها في نفس الآن سببت له العديد من المتاعب والمشاكل والمصاعب ، وأدخلته في معارك عديدة ، وجرت عليه غضب الكثيرين ، إذن السياسة وإن كانت نعمة على العقاد في بعض جوانب حياته ، فإنها كانت شرًا مستطيرا وأذى ما بعده أذى ونقمة كبرى على معظم جوانب حياته .

لقد أسهم الأستاذ / العقاد في بناء الحياة الفكرية والأدبية في بلادنا العربية بوجه عام ، وفي مصر بوجه خاص ، كما أسهم في النهضة السياسية والثقافية والصحفية ، فكان عضوًا في مجمع اللغة العربية القاهري (مجمع الخالدين) ، وعضوًا في المجلس الأعلى للفنون والآداب (المجلس الأعلى للثقافة التابع لوزارة الثقافة المصرية الآن) ، وفي هذه المواقع كان للعقاد أكبر الأثر في حياتنا الفكرية والثقافية طولًا وعرضًا .

والعقاد ـ على حد قول أستاذتنا الدكتورة / نعمات أحمد فؤاد بأسلوبها الرائق الشائق ـ هاديًا كالشعاع ، عاليًا كالمنار السامق ، وارفًا كالظل الظليل الوارف ، زاخرًا كالنهر العذب المتجدد المعطاء ، عميقًا كالبحر بكنه أسراره ، حاليًا كالروض الندي العطر ، رحبًا كالأفق المترامي ، خصيبًا كالوادي الخصيب ، مترفعًا كالنسر المحلق الفتي ، مهيبًا كالعلم الجامع الشامل .

كان أستاذنا العقاد عنيدًا كالجبروت من أجل الحق والخير والجمال ، لا يرجو ولا يخشى في الحق لومة لائم ، إذا تكلم أسمع الجميع ، وإذا حاجى أقنع قوي الحجة ، وإذا عاد أفحم وهزم وفاز ، كثير بنفسه وبعلمه وثقافته وفكره ، سلاحه لا يفل ، وقصبته لا تلين ، عزمه لا يكل ولا يفتر ، صبره لا يمل لأنه دون حدود ، وجده لا يفتر لأنه طاقة رافدة ، طاقة لا تعرف النضوب ، كأن وراءها مددًا يرفدها من سر الخلود أو من روح المولى جل علاه .

لقد عاش العقاد حياة أدبية وفكرية خصبة فتية ، وحياة كبرى لا تعرف إلا الأمور الجادة ، وتنأى عن الصغائر والتفاهات ...

عزف في حياته عن الزواج ، وكأنه منذور للمعبد ، معبد الفكر والفن والأدب ، معبد الكلمة السامقة الجادة المعلمة ...

ويحاول البعض أن يرجع عدم زواج الأستاذ / العقاد إلى أسباب متنوعة ، منها تجاربه العاطفية الفاشلة ، وبالطبع الله أعلم بالقلوب والمشاعر ولكل امرئ الحرية التامة والكاملة في حياته الاجتماعية يشكلها

كما يحلو له ، يعيش دون زواج أو بزواج ، وإن كان من الأفضل اجتماعيًا أن يتزوج المرء ، إلا أننا نؤكد أن العقاد رجل نذر نفسه وحياته للفكر والعلم والأدب والفن والكلمة الراقية البناءة المحترمة ...

وهب نفسه للكتابة والإبداع ، فما كان منهما إلا وأن وهب أنفسهما لراهب الفكر والأدب أستاذنا / عباس محمود العقاد ... الكتابة هي صاحبته ، هي ابنه .. هي ابنته ، التي وفى لها أعظم وأنبل الوفاء ، لا يكاد يخلو إلى نفسه أو إلى الناس إلا وهو على موعد دائم معها ، يعود إليها في الموعد المحدد ، تنتظره لأنها تعرف أنه ولا بد أن يأتي لها ...

ولا داعي لإرجاع أمر زواج الأستاذ / العقاد إلى أمور غير صحيحة وغير سوية ، لقد قالوا : أن العقاد أحب سارة التي لم نعرف اسمها الحقيقي حتى الآن ، وكتب عنها روايته الوحيدة ، وقالوا : إن سارة اسمها الحقيقي (ليزا) وهي فتاة لبنانية على درجة كبيرة من الجمال والفتنة ، كما قالوا : إن سارة هي (هنومة خليل) الممثلة / مديحه يسري ، وفقًا لما قاله أستاذنا الصحفي الكبير / مصطفى أمين ..

وقالوا : إنه أحب ابنة الجيران ، وقالوا : إنه أحب الأديبة اللبنانية / مي زيادة ، وقالوا : إنه تزوج في الخفاء ، وله ابنة ، وقد أعلنت إحدى السيدات ذلك بعد وفاته ، وقالت : إنه جعل ريع بعض كتبه لها ولابنته منها ، ولكن المقربين من الأستاذ نفوا ذلك نفيًا قاطعًا ، ووصفوا هذه السيدة بأنها مدعية ... على كل حال فكل هذا لم يؤكد حتى الآن بأدلة وبراهين موثقة .

أقول لكم : قد يتخيل الناس أنه في خلوه الظاهر لا يعير الكتابة حبه الأول والأخير الإهتمام ، وقد أخطئوا كل الخطأ في ذلك ، فحسه لا يخلو منها ، وشعوره لا يفرغ البتة من عشقها الأبدي ، أو الهيام بها ، والتبتل في محرابها مهما كانت متاعبها وإحنها ...

يجلس الأستاذ مع الناس ، ولكن الكتابة تعيش في عقله ووجدانه ، هي صورة في عينيه ، هي مسئولية في وجدانه ، هي أمانة في أعماقه

وضميره ، هي خاطر في خياله ونفسه ، هي خلجة في شعوره ومشاعره ، وهكذا كانت الكتابة عند عملاق الأدب والفكر / عباس محمود العقاد ...

أوقف العقاد (عملاق الفكر وجباره) حياته كلها على التحصيل والكتابة ، وأستاذنا عصامي بمعنى الكلمة ، شق طريقه في الصخر دون هوادة أو لين ، لم يعتمد على أم أو أب أو قريب أو حسيب أو نسيب ، لم يعتمد على الدرجة العلمية ، أو الوظيفة المرموقة ، لم يعتمد على الجاه أو المال الموروث ، لم يعتمد على السلطة أو السلطان ...

لقد شق طريقه وسط العواصف والأعاصير والمحن وبنى لنفسه : اسمًا ، ومجدًا ، وشهرة ، ولا سيما في مجال الإبداع والفكر والأدب ...

كانت له ندوته الأسبوعية أو صالونه الأدبي الأسبوعي ، والتي كانت تعقد كل يوم جمعة بعد الصلاة ، في منزله الكائن في رقم 13 ، شارع محمد شفيق غربال ، ميدان روكسي ، مصر الجديدة بالقاهرة .

وكانت هذه الندوة الأسبوعية تفتح أبوابها لكل طالب علم ، ولكل محب للمعرفة ، وكانت تضم بين جنباتها أهل الفكر والعلم والأدب ، يفيدون مع صاحبها كل الحضور بفكرهم وعلمهم وثقافتهم الراقية المحترمة ، وظلت إلى أن توفى الله الأستاذ في عام 1964 ...

وقد حافظ ابن شقيقه الأديب / عامر العقاد على عقد هذه الندوة كل أسبوع في موعدها ، وعندما توفى الأستاذ / عامر توقفت هذه الندوة ، وكان كاتب هذه السطور من مريديها إلى أن توقفت ...
كما أنه بعد وفاة الأستاذ / العقاد تأسست جمعية العقاد الأدبية ، وكانت تضم صفوة الأدباء والشعراء ، وكان العبد الفقير أحد أعضائها ، وأذكر أن المرحوم الشاعر والأديب والأكاديمي الدكتور / عبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام) كان رئيسًا لهذه الجمعية ، وكان الشاعر المرحوم / شوقي هيكل يدير أعمالها ، وقد حضرت الكثير من اجتماعاتها وأنشطتها ، ولكن بكل أسف صارت الآن جثة هامدة ، رغم أن مجلس إدارتها وأعضائها

مكون من أساتذة في الجامعات المصرية والعربية وشعراء وأدباء لهم قدرهم ووضعهم ، ولكن في بلادنا كل شيء ينسى ، وبالذات إن كان جادًا .

لقد كتبنا ونادينا نحن من نحب الأستاذ العقاد ، و أذكر أنه كان معنا الشاعر الكبير / محمد على عبد العال (رحمه الله) ، نادينا بضرورة تحويل بيت الأستاذ / العقاد إلى متحف قومي على أعلى مستوى ، يضم كتبه ومقتنياته ، مثلما فعلنا مع أمير الشعراء / أحمد شوقي ، حين حولنا منزله (كرمة ابن هانئ) إلى متحف ومركز للإبداع والنقد ، وكما فعلنا مع منزل عميد الأدب العربي / طه حسين (فيلا رامتان) ، ولا يكفي أن نهدي مقتنيات العقاد وبعض كتبه إلى دار الكتب المصرية ، نريد متحفًا قوميًا يليق بالرجل الذي أثرى ثقافتنا العربية ، متحفًا يضم مكتبته الثرية الضخمة لتكون مزارًا لكل عاشق للفكر والأدب والثقافة الرفيعة ، وللأجيال الصاعدة التي قتلتها التفاهة والسطحية ، فلنفعل ذلك على وجه السرعة ، من أجل تكريم هذا العلم الفرد الذي علم أجيال وأجيال ، ولنقتدي بدول العالم المتقدمة التي تكرم أعلامها في أحسن صورة .

ماذا نقول وقد أضحى كل مشتغل بالأدب والفكر أو محبًا لهما يعيش في جزيرة منعزلة عن صاحبه ، ولا توجد بينهم إلا الإحن والنزاعات والأحقاد والصراعات المريرة ، كل واحد منهم يتلذذ بنرجسيته بل يتفنن في كيفية قهر صاحبه وتدميره وتعذيبه ، وسبحان الله الذي يغير ولا يتغير ..

(2)
بين الموسوعية والتفرد

أنت تعرف أن الكاتب ، والفيلسوف والشاعر ، والأديب الأستاذ / عباس محمود العقاد ولد في 28 يونيو سنة 1889 ، في مدينة أسوان بصعيد مصر ، وانتقل إلى رحاب الله بالقاهرة في 12 مارس 1964 ، عن عمر يناهز 74 عامًا .

وأنت تعرف أن الثقافة العميقة هي أساس الإبداع ، وبدونها لا يكون الإبداع متميزًا متفردًا ، ويعتبر الأستاذ / عباس محمود العقاد موسوعة فكرية وثقافية متكاملة ، ويصح أن نسميه : دائرة معارف متكاملة ، متمثلة في رجل واحد إسمه العقاد .

أقول لك : إن قراءات العقاد تنوعت تنوعًا شديدًا ، فشملت بالإضافة إلى الأدب بجميع ألوانه وأجناسه وفنونه ، العلوم الطبيعية ، والبحوث الفلكية ، والبحوث البيولوجية ، والدراسات النفسية ، والدراسات الفلسفية ، والدراسات الاجتماعية ، وعلوم الحشرات والنبات والجيولوجيا ، وعلم التاريخ ، وعلم الجغرافيا .. وغيرها من المعارف .

كما كان له علم عميق بالموسيقى ، وكان من متذوقيها ، كما كان له إبصار عميق بالفنون المختلفة كالرسم والنحت والتصوير ، والفنون التشكيلية بوجه عام ..

غير أن إهتمام العقاد الخاص انصب ؛ بل تجلى في مجال البحث والدرس للإنسانيات ، فقد توسع بشكل كبير وعميق في علوم النفس والإجتماع والفلسفة والأخلاق و التاريخ ، كما تركزت إهتماماته في مجال الأدب الذي عني فيه بنواح كثيرة أهمها الكتابة عن تاريخ عظماء الرجال

ودراستهم دراسة علمية منهجية متميزة تفرد بها العقاد ، وكانت بحق سمة من سمات عبقريته الإبداعية الأدبية .

كان للعقاد ولع شديد بسير الأبطال والعباقرة والمتميزين في كل المجالات ، وينبع هذا الولع من موقفه المبدئي من الحرية الفردية ، حيث كان يرى أن البشرية لا بد أن ترشد في مسيرتها الحياتية بأبنائها الأفذاذ الذين أُوتوا مواهب فردية فريدة ، تجعلهم دون غيرهم ، مؤهلين لحمل أمانة قيادة الإنسانية ، وإضاءة طريق المستقبل الصحيح أمامها .

وانطلاقًا من هذه الرؤية عني العقاد عناية فائقة بدراسة العبقريات الفردية ، ورد كل إمتياز في الشخصية العبقرية التي يدرسها إلى أصل ذاتي فيها ، وربما كان العقاد يصدر في ذلك عن عقيدته أو رؤيته الخاصة في إمتياز شخصيته هو .

نقول : لعل العقاد كان يصدر في ذلك وهو ينظر إلى عبقريته الشخصية ، ومهما يكن الأمر فإن هذا المعتقد في الإمتياز الفردي جعله يمد ويثري مكتبتنا العربية بمؤلفات وافرة متميزة عن سير الأبطال والعباقرة الأفذاذ ، والبحث عن نواحي العبقرية والإمتياز لديهم .

ولم يقتصر العقاد في تمجيده للعبقرية على صنف واحد من الناس ، أو على بيئة بعينها دون البيئات الأخرى ، حقًا : لقد ركز العقاد تركيزًا شديدًا على عباقرة التاريخ الإسلامي ، حيث كتب عن الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) كتابه (عبقرية محمد) ، سنة 1942 ، وعن الخليفة الأول للمسلمين ، أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) كتابه (عبقرية الصديق) ، سنة 1943 ، وكتب عن الخليفة الثاني للمسلمين / عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كتابه (عبقرية عمر) سنة 1942 ، وكتب عن ثالث الخلفاء الراشدين الخليفة / عثمان بن عفان (رضي الله عنه) كتابه (ذو النورين : عثمان بن عفان) ، سنة 1954 ، وكتب عن الخليفة الرابع للمسلمين الإمام / علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) كتابه (عبقرية الإمام) سنة 1949 .

وكتب عن القائد / خالد بن الوليد (رضي الله عنه) كتابه (عبقرية خالد) سنة 1945 ، وعن أبي الأنبياء إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) كتابه (أبو الأنبياء : الخليل إبراهيم) سنة 1953 .

وعن بلال بن رباح الحبشي (رضي الله عنه) مؤذن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كتب (داعي السماء : بلال) سنة 1945 ، وعن أم المؤمنين السيدة / عائشة (رضي الله عنها) كتب كتابه (الصديقة بنت الصديق) سنة 1943 ، وعن الحسين بن علي بن أبي طالب سيد الشهداء ، وسيد شباب أهل الجنة (رضي الله عنه) كتب كتابه (أبو الشهداء) سنة 1945 .

وعن فاتح مصر القائد / عمر بن العاص (رضي الله عنه)، كتب كتابه (عمر بن العاص) سنة 1944 ، وعن مؤسس الدولة الأموية / معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) ، ماله وما عليه ، كتب كتابه (معاوية بن أبي سفيان في الميزان) سنة 1956 .

وعن ابنة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) السيدة / فاطمة الزهراء (رضي الله عنها) ، وعن تأسيس الدولة الفاطمية ، كتب كتابه (فاطمة الزهراء والفاطميون) سنة 1953 .

كما كتب عن المناضل / محمد علي جناح ، مؤسس دولة باكستان ، ودوره الريادي ، كتابه (محمد علي جناح) سنة 1952 ، وعن فلسفة الشيخ الرئيس ابن سينا ، ومحاولته الفكرية في التوفيق بين العقل والنقل أو الشرع والعقل ، كتب العقاد كتابه (الشيخ الرئيس/ ابن سينا) سنة 1946 .

وعن المناضل السوري / عبد الرحمن الكواكبي ، الذي حارب الإستبداد ، ودعا إلى ضرورة الوحدة العربية ، كتب العقاد كتابه (عبد الرحمن الكواكبي) ، سنة 1959 ، وعن الفلسفة الرشدية والنزعة العقلية في فكر الفيلسوف الأندلسي / ابن رشد ، كتب كتابه (ابن رشد) سنة 1953 .

وعن مجدد شباب العروبة والإسلام الأستاذ الإمام / محمد عبده إمام الإصلاح والتنوير ، كتب كتابه (الأستاذ الإمام / محمد عبده) سنة 1961 .

إذن العقاد ـ كما أوضحت لك ـ ركز تركيزًا شديدًا على تاريخ العروبة والإسلام ، فكتب عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعن أبي بكر الصديق ، وعن عمر بن الخطاب ، وعن عثمان بن عفان ، وعن علي بن أبي طالب ، وعن خالد بن الوليد ، وكذلك كتب عن شخصيات إسلامية أخرى منها : عائشة بنت أبي بكر ، وفاطمة الزهراء ، وأبو الشهداء الحسين بن علي ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وغيرهم .. وغيرهم (رضي الله عنهم أجمعين) .

ولكن هذا التركيز لم يصرفه عن أعلام وشخصيات لعبة دورها في تاريخ الأمة العربية والإسلامية في القديم والحديث ، وكان لها دورها الإنساني المجيد ، أذكر لك منها : سيدنا إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) ، والمسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) ، وفي الحديث كتب عن محمد علي جناح مؤسس باكستان ، والأستاذ الإمام / محمد عبده ..وغيرهم.. وغيرهم .

وإلى جانب هذه الشخصيات تناول الأستاذ / العقاد بالدرس والتحليل عددًا كبيرًا من الشخصيات العالمية البارزة ، كاشفًا عن نواحي العبقرية في كل شخصية ، حيث كتب عن صاحب منهج الإستقراء العلمي والتجريبي / فرانسيس بيكون ، سنة 1945 ، وكتب كتابه (برنارد شو) سنة 1950 ، عن الأديب الإنجليزي المعروف (شو) ، كتب عن أدبه وحياته وسخريته ، كما كتب أيضًا عن الشاعر الألماني / جيته ، كتابه (تذكار جيته) ، سنة 1932 .

وكتب عن المناضل والفيلسوف والزعيم الهندي / المهاتما غاندي ، كتابه (روح عظيم : غاندي) ، سنة 1948 ، كما عرفنا بالأديب الإنجليزي الكبير / وليم شكسبير في كتابه (التعريف بشكسبير) ، سنة 1958 .

وعن مؤسس الصين الحديثة كتب (سن يانسن) ، سنة 1952 ، وعن الزعيم الألماني النازي / أودلف هتلر كتب كتابه (هتلر في الميزان) ، سنة 1940 .

نضيف إلى ذلك كتاباته العديدة عن الشخصيات العالمية المؤثرة في مسيرة الإنسانية بوجه عام ، والتي جاءت عبر مقالات وشذرات العقاد في ثنايا كتبه ، وهي أكثر من أن تعد أو تحصى في هذا المقام .

الحق يقال إن ولوع العقاد الدائم بالكشف عن العبقرية لازمة تلازمه دائمًا ، حتى في دراسته للشعر العربي ، فقد كشف عن العبقرية الشعرية لدى مجموعة من أفذاذ الشعراء العرب في كتب مهمة كان لها أكبر الأثر في تكوين الذوق الأدبي لدى القارئ المعاصر ، وستظل قيمة هذه الكتب وآثارها في القارئين إلى مدى لا يمكن التكهن بمداه .

ومن أهمها كتابه عن الشاعر العباسي ابن الرومي ، والذي يحمل عنوان (ابن الرومي : حياته وشعره) ، والصادر في 1931 ، وفي هذا الكتاب كشف العقاد عن منهج اعتنقه طوال حياته الفكرية ، وهو أن الادب صورة لنفس الأديب وحياته .

ومنها كذلك كتابه عن (أبو النواس : الحسن بن هانئ) سنة 1953 ، والذي حلل فيه شعر النواسي تحليلاً لم يسبق إليه ، وكشف عن عقدته النفسية (النرجسية) التي أدت إلى الإزدواج الحاد في شخصيته .

ومنها كتابه عن رائد الغزل الحسي في العصر الأموي ، عمر بن ربيعة ، والذي جاء تحت عنوان (شاعر الغزل : عمر بن أبي ربيعة) ، سنة 1943 ، وعن شاعر الغزل العفيف أو العذري وقصة حبه لبثينة ، كتب (جميل بثينة) سنة 1944 .

كما كتب أستاذنا / العقاد دراسته المهمة (شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي) سنة 1937 ، كما كتب كتابه عن رهين المحبسين الشاعر الفيلسوف / أبي العلاء المعري كتابه (رجعة إلى أبي العلاء) سنة 1939 .

وسأقدم لك في السطور القادمة أنموذجًا من كلام العقاد عن الإمام / علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) من خلال كتابه (عبقرية الإمام) ، وإذا قرأنا كلام العقاد هذا أدركنا منهجه العميق الجاد في البحث عن كُنه الشخصية أو السمات المحورية الأساسية فيها ، أو بمعنى آخر أبرز السمات الرئيسة في الشخصية الإنسانية التي يدرسها ، والكشف عن المحور الأساسي الذي تنطلق منه تصرفات هذه الشخصية ، والذي يميزها عن من عداها من البشر العاديين .

وهذا هو معنى العبقرية في الشخصية أو الذاتية ، أقول لك : إن العبقرية كما فهمتها من الأستاذ / العقاد هي : التفرد في صفة جوهرية في النفس تلازم الشخصية ، وتطبع كل تصرفاتها بطابعها ، وتكون علامة لا تخطئ في وصفها والحكم عليها .

يقول العقاد شارحًا (مفتاح شخصية الإمام / علي بن أبي طالب) :
" أدب الفروسية هي مفتاح هذه الشخصية النبيلة الذي يفيض منه كل مغلق ، ويفسر منه كل ما احتاج إلى تفسير ، وأدب الفروسية هي تلك الآداب التي نلخصها في كلمة واحدة هي : (النخوة) . " .

ويضيف : " ولقد كانت النخوة طبعًا في (علي) فطر عليها ، وأدبًا من آداب الأسر الهاشمية نشأ فيه ، وعادة من عادات الفروسية العملية التي يتعودها كل فارس شجاع متغلب على الأقران ، وإن لم يطبع عليها وينشأ في حجرها ، لأن الغلبة في الشجاع أنفة تأبى عليه أن يسف إلى ما يخجله ، ويشذ به ، ولا تزال به حتى تعلمه النخوة تعلمًا وتمنعه أن يعمل في السر ما يزري به في العلانية . "

وهكذا كان علي (رضي الله عنه) في جميع أحواله وأعمالـه : بلغت بـه نخـوة الفروسية غايتهـا المثلـى (علـى حـد تعبيـر العقـاد) ، ولا سيما فـي معاملة الضعفاء من الرجال والنساء ، فلم ينس الشرف قط ليغتنم الفرصـة ، ولـم يسـاوره الريـب قـط فـي الشـرف والحـق ، وأنهمـا قائمـان دائمًـا كأنهمـا مودعان في طبائع الأشياء ، فإذا صنع مـا وجـب عليـه فلينس مـن شـاءوا مـا وجب عليهم ، وإن أفادوا كثيرًا وباء هو بالخسار .

ويؤكد العقاد على أن الإمام / علي (رضـي الله عنـه) أصـاب المقتـل من عدوه مرات ، فلم يهتبل الفرصـة السـانحة بـين يديـه ، لأنـه أراد أن يغلـب عدوه غلبة الرجل الشجاع الشريف ، ولـم يـرد أن يغلبـه أو يقتص منـه كيفمـا كان سبيل الغُلب والقصاص .

وعن مفتاح الشخصية عند الخليفة الراشد الثاني / عمر بن الخطـاب (رضي الله عنه) ، والملقب بالفاروق ، والعادل ، والقاضي ، يقول العقاد في الفصل الرابع من كتابه (عبقرية عمـر) : " قد يخطـر علـى البـال أن الإيمـان يمكن أن يكون مفتاحًا لشخصية عمر ، لكننا نريد بالمفتاح السمة التـي تميـزه بين العظماء ، وتميز صفاته ، ومنها الإيمان حتى لنعرف بهذه السمة الفرق بين إيمانـه ، وإيمان سواه من أقوياء الإيمان .

ويقول : " ولطبيعـة الجنـدي فـي صـفتها المثلـى خصـائص كلهـا ممـا يؤثر عـن عمـر ، هذه الخصـائص هـي : الشـجاعة ، والحـزم ، والصـراحة ، والخشـونة ، والغيـرة ، والنجـدة ، والنخـوة ، والنظـام ، والطاعـة ، وتقـدير الواجب ، والإيمان بالحق ، وحب الإنجاز في حدود التبعات . "

وهذه الخصائص ـ عند العقاد ـ لازمة للجندي فـي أمثـل حالاتـه عنـد تعبئـة الجيـوش علـى مـر السـنين ، فـلا يسـتغني الجنـدي لتحقيـق وجـوده عـن خاصية منهـا ، وأنـت لا تحتـاج إلـى تنقيـب أو تعمـل لجمـع أشـتاتها فـي نفـس عمر .

الحق يقال أنه يمكن لنا أن ننظر إلى دراسة شخصيات العباقرة هذه التي قام بها أستاذنا العقاد على أنها نوع من التصوير لهذه الشخصيات ، يعتمد على التاريخ في الأساس ، ويستخدم الخيال في رسم الإطار العام الذي توضح فيه هذه الشخصية ، دون شطح أو نطح أو تشكيك ، فتكون النتيجة ضربًا من الترجمة الموضوعية في صورة لها طابع القصص الملتحم بالواقع أعظم التحام .

وقد كتب البعض وتكلم عن عبقريات العقاد ، فأشادوا بها حق إشادة ، ومن انتقدها كان موضوعيًا معتدلاً في نقده ، ولعل أهم نقد للعبقريات ما قاله أستاذنا عميد الأدب العربي الدكتور / طه حسين ، في أحد البرامج التي بثها التليفزيون المصري في الستينات من القرن الماضي ، وحضره عدد كبير من الأدباء من أهل الفكر والرأي والإبداع ، كان منهم : الشاعر والكاتب / عبد الرحمن الشرقاوي ، والقاص / أمين يوسف غراب ، والمفكر / أنيس منصور ، والفيلسوف الدكتور عبد الرحمن بدوي ، والكاتب الناقد / محمود أمين العالم ، والأديب العالمي / نجيب محفوظ ، وفارس الرومانسية القاص / يوسف السباعي ...

وفي هذا البرنامج قال العميد : إن حفيده ، كانت عبقرية عمر للعقاد مقررة عليه في المرحلة الثانوية ، وطلب منه أن يشرحها له ، وقرأها فلم يفهم منها أي شيء .. !!!

أقول لك أيها القارئ الكريم : إن عبقرية العقاد صدرت سنة 1942 ، فهل من الممكن أن يكون عميد الأدب العربي الحديث الدكتور / طه حسين لم يسمع بها ، أو لم يكلف سكرتيره الخاص بقرائتها له ، رغم كل ما كتب عن هذه العبقرية ، وما قوبلت به من ترحيب وإشادة من صفوة المثقفين إبان صدورها ؟ ، وللعلم فهذه العبقرية هي أول عبقرية صدرت للأستاذ العقاد .

نحن نحب ونحترم ونقدر أستاذنا الدكتور / طه حسين ، وكم كتبنا عنه مرات عديدة فزادنا ذلك شرفًا وقدرًا ، ولكن نسأل : لماذا صمت العميد

منذ عام 1942 ليجيء في الستينات من القرن الماضي ، وعلى الأثير ليقول : إنه لم يفهم أي شيء من عبقرية عمر للعقاد ؟ !! ، ما الذي لم يفهمه العميد ، هل وجد صعوبة في الأسلوب ، أم صعوبة في المنهج ؟

وأذكر أننا عندما كنا نعمل في مدارس وزارة التربية والتعليم الثانوية ، كنا ندرس عبقرية عمر ، وعبقرية الصديق ، عبقرية خالد وكنا نتبارى كمعلمين في شرحها وتحليلها وتبسيطها لأولادنا من الطلاب ،.

على كل حال فالعبقريات ستظل دائمًا وأبدًا علامة مضيئة في تاريخنا الفكري والإبداعي ، وهي خير دفاع عن عبقرية رجال العرب والإسلام في القديم والحديث ، ولن ينسى التاريخ إلى يوم الموقف العظيم عبقريات العقاد الرائعة المفيدة لكل قارئ والمتفردة منهجًا وأسلوبًا ، ولو لم يكتب العقاد في حياته سوى العبقريات فقط لا غير ، لحق له أن يعد في عداد العباقرة الأفذاذ من الكتاب والباحثين .

أقول لك : لقد فات العقاد أن يكتب كتابًا مهمًا كنا في أمس الحاجة إليه ليكمل به سلسلته في العبقريات ، وأعني به (عبقرية العقاد نفسه) ، وأذكر هنا كتابًا مهمًا لأستاذنا الدكتور / عبد الفتاح الديدي ، عنوانه (عبقرية العقاد) ، والذي صدر في القاهرة سنة 1965 .

حقًا : لم يكن الأستاذ العقاد النابغة الفذ يكتب للعامة أو العوام أو لأنصاف المثقفين أو أنصاف المتعلمين ، بل كان يكتب لخاصة المتخصصين ، أي أنه كان يكتب لأساتذة أساتذتنا ، أيام كان هناك أساتذة بحق وحقيق !!! .

وقبل أن أترك العبقريات أحب أن أقول لك أن الصحفي الكبير المرحوم الأستاذ / أنيس منصور له كتاب بعنوان (في صالون العقاد كان لنا أيام) ، وهو كتاب فخم ضخم ولكن أوصيك كما أوصي نفسي بأن تلتزم الحرص كل الحرص وأنت تتعامل مع هذا الكتاب ، ليس لشيء - لا سمح الله - ولكن لأن الحرص والحيطة أمران واجبان ... !!!!

أما بالنسبة للإبداع القصصي (الخيالي البحت) فلم يكتب العقاد سوى رواية واحدة هي روايته المهمة (سارة) ، والتي نشرت سنة 1938 ، ويجدر بالذكر هنا أن سارة كتبت في بداية الأمر عبارة عن سلسلة من المقالات بعنوان (مواقف في الحب) ، نشرت في مجلة (الدنيا) والصادرة عن دار الهلال المصرية ، ثم قام بجمعها في كتاب يحمل عنوان (سارة) .

ومهما قيل من أن هذه الرواية رواية واقعية بحتة عاشها العقاد مع حبيبة له ، وعانى معها أفظع ألوان الشك والحيرة والقلق .

على كل حال فإن رواية سارة تنحى المنحى الفكري الفلسفي والنفسي ، وليت العقاد استمر في كتابة الفن الروائي ، ولو فعل لأضاف وأضاف إلى هذا الفن ، وبالذات أنه صاحب خبرة حياتية عريضة ، ناهيك عن ثقافته العميقة المتعددة الجوانب ، والتي من الممكن أن تثري هذا الفن الإبداعي عن وعي تام ودراية محيطة .

وأذكر أنه في سنة 1954 ترجم العقاد ألوانًا من القصة القصيرة في الأدب الأمريكي ، كما كتب مجموعة من الخواطر الأدبية في الفن ، وفي القصة ، صدرت بعد وفاته سنة 1971 .

لقد توقف العقاد عن كتابة الفن القصصي نهائيًا بعد صدور روايته (سارة)، ويبدو أن سبب هذا التوقف يكمن في أن العقاد كان يعتقد أن الشعر في تركيزه ، وفي إيحائه ، وفي نفاذه ، أشد تأثيرًا من القصة بكل أنواعها وأشكالها ، فصرف همته بعد الكتابة في أنواعها المتقدمة إلى الشعر ، ولم يهتم بفن القصة .

على كل حال فقد خسرنا قاصًا كبيرًا كنا نتمنى أن يستمر بعد (سارة) ، ولو فعل ذلك لأثرى الفن القصصي بوجه عام .

(3)

هل رفض العقاد جائزة عبد الناصر ؟

وأحب أن استطرد معك في حديثي المتواصل ـ بعون الله تعالى ـ عن أستاذنا / عباس محمود العقاد بالرد على من يزعمون أن الأستاذ رفض تسلم جائزة الدولة التقديرية من الزعيم الراحل جمال عبد الناصر .

كلما نتذكر رحيل عملاق الأدب العربي، عباس محمود العقاد، المعروف بمعاركه الأدبية والسياسية الكثيرة حتى أنه قضى 9سنوات في السجن بتهمة العيب في الذات الملكية بعدما هاجم الملك فؤاد من تحت قبة البرلمان إثر محاولة الملك تغيير الدستور لصالحه، ثم جاءت ثورة يوليو 1952 وبدأت مرحلة جديدة ، نتذكر ذلك فيعود للذاكرة هذا الموقف .

في سنة 1959 حصل العقاد على جائزة الدولة التقديرية، وصار لزاما عليه إلقاء كلمة أمام الرئيس جمال عبد الناصر، ورغم عدم بعد المسافة الزمنية، إلا أننا نجد موقف العقاد في هذه الفترة غير واضح تماما.

الشائع أن الكاتب الكبير رفض أن يتسلم الجائزة معترضا على سياسات ناصر، وهذا الأمر يكاد يكون هو المتصدر، والذي يتناقله البعض كأنه الحقيقة.

لكن هناك حكايات أخرى تؤكد أن العقاد تسلم الجائزة ولم يرفضها، ويومها قال العقاد كلمة تنفى أنه كان جافا مع عبد الناصر، إذ ذكر في بداية الكلمة: « في هذه الهالة من حضرة الرئاسة السامية ».

أما من بين الكلمات التي اختتم بها العقاد كلمته يومها: «تلك هي جمهورية الفكر خير قرين لجمهورية الحكم».

وفى مقال للكاتب الكبير / أنيس منصور في جريدة (الشرق الأوسط) جاء فيها : "بعث الأستاذ / العقاد بالكلمة التي سوف يلقيها في الإحتفال أمام الرئيس / جمال عبد الناصر، وكانت كلمة جميلة، وطلب منى أن يكتبها أحد على الآلة الكاتبة ، وبخط كبير، ولاحظت أن الأستاذ العقاد لم يبدأ كلمته بتحية السيد / رئيس الجمهورية ، والوزراء ، وضيوف مصر في هذه المناسبة الأدبية الكبرى، ووجدت أنها مصيبة ! ولم أشأ أن أنبه الأستاذ إلى أنه قد نسى أو أنه تجاهل وجود الرئيس، ولكن أبلغت مَنْ في يدهم الأمر. ولم يحاول أي أحد أن يقول للأستاذ شيئا..

وجاء يوم الحفل. ولا أعرف كيف سيكون الموقف. وهو موقف صعب، ولكن الأستاذ / العقاد لا يهمه. ولا بد أن لديه أسبابا قوية لهذا التجاهل المتعمد..

ولكن لاحظنا أن الميكروفون الذي كان يتكلم فيه الأستاذ قصير جدا، أي أن الأستاذ لا بد أن ينحني تماما لكي يبلغ مستوى الميكروفون. والنتيجة أن صوت الأستاذ لم يكن واضحا، بل إننا لم نعرف بالضبط ما الذي قاله ، لا نحن، ولا جمال عبد الناصر. فالأستاذ يتكلم من أعماق حنجرته وبسرعة. وحمدنا الله على أن هذه المصيبة قد مرت بسلام ، أو خيل إلينا ذلك!

وفى صالون العقاد يوم الجمعة قيل له ذلك ، وتضايق الأستاذ. وتشاء الصدفة أن يجيء صاحب برنامج (مع الخالدين). وحاول أن يقنع الأستاذ بالحديث، ولكنه رفض. وحاولنا نحن أيضا. وكان عندنا أمل ، أو لنا خاطر عنده. وأخيراً وافق. وظهرت البهجة على وجهه. ولم نعرف لماذا، ولا ماذا عساه أن يقول.

وجاءت الفرصة سريعة وسعيدة، فإذا بصاحب البرنامج يسأله: يا أستاذنا العظيم.. أنت قد فزت بجائزة الدولة التقديرية، وأريد أن أعرف شعورك؟

وهنا أحس الأستاذ أن الكرة في ملعبه، وليس له إلا أن يشوط. فقال: «إنه شعور بالإمتنان. فهذه الجائزة أخذتها من الشعب على يد الحكومة!».

هذا ، وقد أبدى الوزير الأسبق السيد / سامي شرف مدير مكتب الرئيس جمال عبد الناصر تعجبه من ترديد البعض : أن الكاتب والمفكر عباس محمود العقاد رفض تسلم جائزة الدولة التقديرية من الرئيس / جمال عبد الناصر عام 1959.

وقال : ردا على ما أثاره البعض عن رفض عباس العقاد تسلم جائزة الدولة التقديرية من جمال عبد الناصر: " أتعجب مما يقال في ذلك ، في حين أن أرشيف الصور والمجلات الصادرة وقتئذ فيها صورة الزعيم جمال عبد الناصر وهو يسلم العقاد الجائزة، وما أثار دهشتي في الموضوع المنشور هو القول: " الشائع أن الكاتب الكبير رفض أن يتسلم الجائزة معترضا على سياسات ناصر، وهذا الأمر يكاد يكون هو المتصدر، والذي يتناقله البعض كأنه الحقيقة، لكن هناك حكايات أخرى تؤكد أن العقاد تسلم الجائزة ولم يرفضها "، فالأمر لم يكن فيها "حكايات أخرى"، لأن الحقيقة الوحيدة فيه هي أن " العقاد تسلم الجائزة "، وماعدا ذلك هو لغو وتشنيع وافتراء على التاريخ".

وأضاف السيد / سامي شرف: " العقاد وصف يوم 26 يوليو 1952 أي بعد قيام الثورة بثلاثة أيام ، أن ما حدث يوم 23 يوليو هو ثورة ، كما كتب قصيدة نشرها في جريدة الأخبار بعد قيام الثورة جاء فيها: "يا مصر يا بنت الخلود/ يا معقل المجد التليد/ أين الذين جزوك/ جازية الخيانة والكنود "، وأضاف في نفس القصيدة مخاطبا الضباط الثوار: "يا صحبة التوفيق وفقتم إلى النهج السديد " .

وهناك مواقف أخرى عديدة تؤكد التقدير المتبادل بين المفكر والزعيم الراحل / جمال عبد الناصر ، من أبرزها إهداء الزعيم الخالد له كتاب " فلسفة الثورة " وكتب الإهداء بخط يده " تقديرا واعتزازا "، وكان

تقييم " العقاد" للكتاب إيجابيا في مقال نشرته مجلة " آخر ساعة " بعنوان " فلسفة الثورة في الميزان ".

والتقى عبد الناصر بالعقاد في قصر القبة عام 1958 بمناسبة عقد مؤتمر للأدباء العرب في القاهرة، وبعد المؤتمر طلب الأدباء لقاء الرئيس، وسأل الرئيس قبل دخول الأدباء: "هل الأستاذ العقاد موجود؟ ولما عرف بوجوده ابتسم قائلا: هذه أول مرة أراه، وكنت معجبا به في الفترة التي نشر فيها مقالاته بمجلة (روز اليوسف) أثناء خروجه على حزب الوفد، وكانت المرة الثانية التي رآه فيها عبد الناصر هي يوم تسلم الجائزة التقديرية تقديرًا لإسهاماته في الفكر العربي، وتسلمها العقاد بكل سعادة وبدأ كلمته بقوله ، " في هذه الهالة من حضرة الرئاسة السامية "، وقال أيضا: "تلك هي جمهورية الفكر خير قرين لجمهورية الحكم".

ويختتم السيد / سامي "شرف " كلامه بسؤال : "كيف بعد هذه الحقائق ترديد الأكاذيب التي تزعم بأن العقاد لم يستلم الجائزة ؟ .

(4)

منزل العقاد في أسوان

عندما نحتفل في كل عام بذكرى وفاة الأديب الكبير عباس محمود العقاد، 13 مارس 1964، وعلى الرغم من المكانة التاريخية لعملاق الأدب العربي إلا أن منزله بمدينة أسوان لم يلق اهتمامًا من قبل المسئولين في وزارة الثقافة أو داخل محافظة أسوان .

نعرف أن الأستاذ / العقاد ولد في 28 يونيو عام 1889 ، ونشأ وتربى في محافظة أسوان، وكان أجداده يعملون في صناعة الحرير، فلقبوا بـ" العقاد " والذي يطلق على من يعقد الحرير، وعباس ولد لأب ينتمي لمحافظة دمياط ، وأم من أصول كردية ، وحصل على الإبتدائية عام 1903، ولم يكمل مسيرة التعليم لعدم قدرة أسرته على توفير نفقات التعليم في المراحل الدراسية ، وسعى لمساعدة والده في توفير نفقات الأسرة لما تعانيه من مصاعب معيشية ، لكن في الوقت نفسه كان مولعًا بالقراءة في مختلف المجالات ، وأنفق معظم نقوده على شراء الكتب ، والتحق بعمل كتابي بمحافظة قنا ، ولم يتزوج أبداً .

ويقع منزل عملاق الأدب العربي / عباس العقاد، في شارع عباس فريد بمدينة أسوان، وكان محل إقامته الوحيد عندما كان يأتي من القاهرة ليستضيف فيه أبناء بلدته وأسرته وأصدقاءه ، كما كان يقيم فيه ندواته ، ومع ذلك أصبح المنزل مهددًا بالإنهيار بعد ظهور التصدعات والتشققات على جدرانه بسبب المياه الجوفية.

ويتبع منزل العقاد الأبنية الخاضعة للتراث المعماري، وفقًا للقرار الوزاري رقم 2650 لسنة 2007، إلا أن أسرة العقاد سلكت كافة السبل لإعادة ترميم المنزل مع الجهات المعنية ، سواء الوحدة المحلية لمدينة أسوان أو مديرية الإسكان أو الآثار الإسلامية ، باعتباره خاضع للتراث

المعماري دون استجابة أو تغيير، وخاطبت أسرة العقاد وزير الإسكان ، ولكن الروتين والبيروقراطية الحكومية وقفت حائلًا أمام ترميم وإنقاذ المنزل من السقوط.

وقيل : إن زوجة أمير إحدى الدول العربية ،عرضت خلال زيارة سابقة لها لمحافظة أسوان ، شراء المنزل وتحويله إلى متحف بسعر خيالي لكن أسرة العقاد رفضت العرض ، وأكدت أن بيت العقاد ملكًا لمصر والمصريين ولا يمكن أن يقدر بثمن .

وفى مدينة أسوان توجد أيضًا مقبرة العقاد، والتي دفن فيها في 12 مارس عام 1964، واختار موقعها محافظ أسوان الراحل الدكتور/ محمد عزت سلامة ، في الوقت الذي لم يوصى فيها العقاد بدفنه في هذا المكان ، وكان من المقرر أن يدفن العقاد في مقبرة الأسرة بجبانة أسوان القديمة.

وعلى مقربة من مقبرة العقاد يوجد تمثال ضخم للأديب العملاق، قال عنه ابن شقيقة عبد العزيز العقاد : " لدينا بعض التحفظات على التمثال منها ، عدم وجود كوفيته الشهيرة التي كان يرتديها ، وأيضًا طول التمثال المفرط ، وعدم تناسقه مع حجم الرأس"، مؤكدًا أن العقاد لم يكن طويل القامة بهذا الشكل ، ولكنه توجه بالشكر لكل من ساهم في عمل التمثال، وعلى رأسهم المثال المصري الكبير / "عبد العزيز مصعب" والذي قام بتصميم التمثال .

وفى أسوان أيضًا ، يوجد قصر ثقافة العقاد ، بكورنيش النيل، وأطلق عليه اسمه تخليدًا لذكراه ، حيث خصصت قاعة كبرى بالقصر لوضع عدد من المقتنيات والمتعلقات الشخصية للعقاد به من بينها حجرة معيشته ومكتبته الخاصة وبعض الملابس التي كان يشتهر بها مثل " الروب والكوفية والعصا والطربوش "

(5)

بين الهوية والعصامية: غير قابل للبيع..!!

كلما تذكرنا رحيل المفكر والكاتب الكبير / عباس محمود العقاد، لا يزال الحنين إليه جارفًا، ولا تزال المقارنات تعقد بينه وبين الكتاب والمفكرين في عصره والعصور التي تلتها، والتي عادة ما تنتهي لصالحه.

كثيرة هي المواقف الواضحة والجادة والحازمة التي كان عباس محمود العقاد بطلها، منها وقفته تحت قبة البرلمان حينما كان نائبًا فيه في عهد الملك / فؤاد ، الذي أراد أن يلحق تغييرًا في بعض مواد الدستور، فوقف العقاد وقال قولته الشهيرة « إن الأمة على إستعداد لأن تسحق أكبر رأس في البلاد يخون الدستور ولا يصونه »، هذه الكلمة المهمة كلفت العقاد تسعة أشهر من السجن سنة 1930 بتهمة العيب في الذات الملكية.

وكذلك يحسب للعقاد « عبقرياته » التي استطاع من خلالها أن يقدم نوعًا من الخصوصية الإسلامية والعربية المهمة، وعلينا ملاحظة شيء مهم، هو زمن كتابة العبقريات، فالغرب كان محتلاً لمعظم الدول العربية، والمحتل عادة ما يكون هو النموذج الفكري ، يحاول الناس تقليده والبحث عن قوته ، لذا فإن ما كتبه العقاد باكتشاف مناطق القوة في التاريخ العربي والإسلامي والشرق كفيل للوقوف في وجه هذه الفكرة ، وتأكيد قدرة الشعوب الشرقية على صناعة عظمتها.

وفيما يتعلق بشخصه الذي تحول لـ« قدوة »، فالجميع يعرف أن العقاد كان رجلًا عصاميًا علّم نفسه بنفسه ، حتى أصبح من أهم كتاب ومفكري عصره ، وحتى قال عنه البعض " جامعة معرفية تمشى على قدمين " .

جانب آخر يكشف عنه تاريخ العقاد ، فالكاتب الكبير كان معروفًا عنه حبه لشخص سعد زغلول ، زعيم ثورة 1919، وكتب عنه ووصفه بالعملاق ، وكان الزعيم من جانبه يحب العقاد ، ويصفه بالكاتب الجبار، وبالطبع العقاد كان وفديًا ، لكن ذلك لم يمنعه من الصدام مع مصطفى النحاس ، واختلافه معه ، بما يؤكد أن العقاد لم يكن يقدس الفكرة ، ويدافع عنها بالباطل ، بل يقف مع ما يراه ويظنه الحق .

وظل الرجل غير قابل للبيع والشراء حتى أن السفارة البريطانية عرضت عليه خمسة آلاف جنيه دفعة أولية ، مع راتب شهري يصل إلى ألفى جنيه ، نظير أن يتوقف عن الهجوم عنها ، لكن العقاد رفض وطرد مبعوث السفارة البريطانية .

تجربة العقاد تدفع كل كاتب للتفكير في سؤال: لماذا يحترم الناس عباس محمود العقاد ويقدرونه حتى لو اختلفوا معه؟ ، الناس يفعلون ذلك لأن العقاد كان صاحب موقف معين ، وهكذا يجب أن يكون الكاتب دائمًا .

***

لقد جلجل صوت المحامى مكرم عبيد أمام محكمة «جنايات مصر» في يوم 25 ديسمبر 1930 ، مدافعا عن المفكر والكاتب «عباس العقاد»: نحن أمام قضية تمثل مأساة أمة تمثلت في مأساة فرد ، إذ الواقع أن هذه القضية التي تبدو في الظاهر بين النيابة والأستاذ العقاد إنما هي في الحقيقة بين الرجعية والدستور، أو هي بالأحرى بين مبدأ التأخر ومبدأ التقدم ، أيا كان الشكل الذي قد يتخذه كل من هذين المبدأين ، أو الإسم الذي يتسمى به في مختلف الأزمنة والظروف ، وما العقاد إلا خصم للرجعية عنيد إنهال بضربات قتالية رأت أن لا قبل لها بها ، فاعتزمت أن تنكل به قبل أن ينكل بها، ولما لم تقو على مجابهته وجها لوجه فرت إلى السدة الملكية ، تتعلق بركابها ، وتتمسح بأعتابها، ولم تستح أن تتخذ منها ستارا لعيوبها، فأسندت العيب للذات الملكية، والعيب كل العيب فيها.

كان «العقاد» يواجه المحاكمة بتهمة «العيب في الذات الملكية»، وبدأ الإتهام في جلسة مجلس النواب التي قدم فيها مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة إستقالة حكومته يوم 17 يونيو 1930، ووقف «العقاد» بصفته نائبًا، ومع حماس الجلسة قال: «ألا ليعلم الجميع أن هذا المجلس مستعد أن يسحق أكبر رأس في البلاد في سبيل صيانة الدستور وحمايته».

ووفقا لكتاب «عباس العقاد في تاريخ الصحافة المصرية» للدكتور / راسم محمد الجمال «الدار المصرية اللبنانية -القاهرة»: «قوبل هذا التهديد من العقاد للملك من جانب النواب بتصفيق حاد متواصل، جعل أحمد ماهر، رئيس المجلس، يدرك خطورة الأمر، فاعترض مضطربا: ما هذا يا أستاذ عباس ؟ أنا لا أسمح بمثل هذا الكلام ، ولكن العقاد أصر على موقفه»، وكرر قوله.

انفجر المشهد كله لإقدام الملك فؤاد على تعطيل الحياة النيابية وإلغاء دستور 1923، كتحدٍّ لمجلس النواب الوفدي والدستور الذي يصارع الملك عليه، وحسب «راسم الجمال»: «في اليوم التالي لما حدث في المجلس، بدأ العقاد حملة عنيفة على الملك وحاشيته لم تتضمن فقط عيبا في الملك «فؤاد» وإنما تضمنت فوق ذلك، تحريضا على الثورة وقلب نظام الحكم والتخلص من أسرة محمد على كلها»، وبدأ نشر هذه المقالات في التاسع من سبتمبر 1930 بجريدة «المؤيد الجديد» وانتهى منها في 29 سبتمبر، واستدعته النيابة للتحقيق يوم 14 أكتوبر أي قبل أسبوع من حل البرلمان في 22 أكتوبر ،وسقوط الحصانة البرلمانية عنه، كما استدعت محمود فهمي الخضري وعدته مسئولًا بصفته مدير التحرير المسئول عن الصحيفة : المؤيد الجديد.

حضر التحقيق عدد من كبار المحامين الوفديين منهم ، محمد نجيب الغرابلى، محمد صبري أبو علم ، محمود سليمان الغنام ، وأمرت النيابة باعتقال العقاد ، واتهامه بـ «العيب في الذات الملكية» ، وتعنتت الحكومة مع «العقاد»، فاعتقلته في «سجن مصر» بالرغم من الإتفاق بين نقابة

الصحفيين قبل حلها ، وبين وزارتي الحقانية والداخلية على عدم إعتقال الصحفي قبل محاكمته.

أحيلت القضية إلى محكمة «جنايات مصر» منذ الثامن من ديسمبر 1930، وبدأت النيابة مرافعتها في الجلسة المنعقدة في يوم 25 ديسمبر 1930، وقالت فيها : إن العقاد بث فكرة خطيرة في البلاد وهى أن جلالة الملك يناهض الأمة في أمانيها ، وتخلل هذه المقالات عبارات وألفاظ كلها عيب في الذات الملكية وطعن في صاحب العرش .

ويذكر « راسم الجمال » أن النيابة بذلت جهدها في إثبات أن العقاد كان يقصد الملك صراحة وأنه لم يذكر اسمه صراحة ، بل استعمل في بيان غرضه وتحديد مقصده عبارة الرجعية.

لام مكرم عبيد النيابة لأنها رفعت القضية على العقاد الذي لم يصرح مطلقا في مقالاته باسم الملك ، بالرغم من أن المادة 156 من قانون العقوبات التي طلبت النيابة تطبيقها على العقاد ، يفهم منها أنه يجب أن يكون العيب صريحًا ومباشرًا وموجهًا إلى ذات الملك لا غمزًا ولا لمزًا، ولا بطريق مباشر، ونفى عبيد في دفاعه أن يكون المقصود بالرجعية هو الملك ، واستمد ذلك من نصوص الدستور، إذ قال: ولكن ما الرجعية التي عناها العقاد؟ هي كل فكرة أو هيئة أو شخص مسئول عن العبث بالدستور أو بحريات البلاد في أي زمن من الأزمان.

وفى يوم 31 ديسمبر 1930 أصدرت المحكمة حكمها بحبس المتهم الأول محمود فهمي الخضري ستة أشهر حبسًا بسيطًا ، والمتهم الثاني عباس العقاد تسعة أشهر حبسا بسيطًا.

(6)
رسائل ورسائل

كشفت السورية غادة السمان عن رسائل حب كان قد كتبها لها الشاعر / أنسى الحاج في العام 1963 وجمعتها في كتاب "رسائل أنسى الحاج إلى غادة السمان" صادر عن دار الطليعة ، الأمر الذي قابله المثقفون العرب بالإستنكار والرفض والسخرية ، واصفين نشر الرسائل بـ"القبح"، و"الفلتان".

تقول "السمان" إنها كانت تقترب من العشرين من عمرها عندما راسلها أنسى الحاج صاحب الستة وعشرين عاما والمتزوج ولديه ولد وابنة، لكنها كانت علاقة سريعة ما إن بدأت حتى انتهت ، لكن المثقفين استنكروا هذا الأمر ورأوا أنه أمر شخصي لم يكن يليق بالكاتبة أن تدخل فيه خاصة بعد رحيل "الحاج".

كتب "سماح إدريس" : من بعد "فلتة" غادة السمّان على نشر رسائل "عشاقها" ، لن يجرؤ كاتب على التعبير عن الحب إلا وشوشةً في أذن الحبيب ، بالمناسبة : أنا ضد نشر رسائل الغرام إلا بموجب تعهد يوقّعه "الحبيبان" أمام كاتب عدل ومترجم محلّف قبل الوفاة ، ودخيل عرضكم لا تحكوني بالأدب والإبداع والخيال المجنّح.!!!

بينما إحترز الروائي السوداني "حمور زيادة" قائلا " أنا لم أكتب رسائل حب لغادة السمان". وياسر الزيات رد سريعا ساخرا "قريبا": الأعمال الكاملة لعشاق غادة السمان.

أما الروائي والصحفي اليمنى "جمال جبران" فقال (غادة تنشر رسائل أنسى الحاج بعد وفاته ، الفكرة قبيحة لو كان لم يرغب كاتبها في نشرها ، كأن يصوّر أحدهم غادة السّمان وهى تغتسل. تختلف كتابة شيء على نحو شخصي عن كتابته بغرض النشر، إلا لو كان معها ما يُثبت رغبة

النشر عنده ، وأنسى الحاج لم يقل ولم يكتب ولم يذكر هذا الحب ولا حتى بكلمة واحدة ، أعتقد حتى رسائل كنفاني نُشرت وقد كانت شيئًا شخصيًا بينهما ، على هذه سينتظر كل عُشاق غادة السّمان دورهم في نشر رسائلهم. وفى انتظار رسائل الزميل وليد جنبلاط حين كان مراهقًا، الحمد لله ، وقتها لم أكن أعرف بَعد اللغة العربية ولا الكتابة بها ".

ومن جانبه قال الشاعر "محمد منصور" على صفحته الخاصة على موقع التواصل الاجتماعي الفيس بوك "ويبقى القبح المجاني و"غادة السمان" أسوأ ما تعانيه ثقافتنا العربية**!**"

واقعة غادة السمان إن صح زعمها لم تكن الأولى في حياة الأدب العربي، فقد سبق أن عُرف أدباء ومثقفون كبار بحب وهوس امرأة ، ولعل أشهرها حب الشاعر الكبير جبران خليل جبران والكاتب المصري عباس محمود العقاد لـ مي زيادة .

الأول كان يقيم في القاهرة، -عباس محمودَ العقاد-، والثاني لم ير مي، ولم تره مي، كان في مغرب الدنيا، وكانت (مي) في مشرقها، وكان البعد يفصل بينهما مسافةَ سبعة آلاف ميل من البحار، ذلك هو الفنان الأديب جبران خليل جبران.

ووثقت أغلب تلك العلاقات عن طريق المراسلات البريدية فيما يطلق عليه اسم (أدب المراسلات)، والذي اشتهر في تلك الفترة ، خاصة بوجود صالون مي الثقافي خاصة أن مي رغم كونها أديبة ومثقفة كبيرة ، إلا أنها عرفت بصالونها الأدبي الذي كانت تقيمه في منزلها الكائن في شارع علوي بوسط القاهرة ، كل يوم ثلاثاء منذ عام 1913.

علاقتها بجبران لم تكن عادية أبدًا فرغم أنهما لم يلتقيا ، إلا أن قصص حبهما عرف بها في الوسط الأدبي كله ، خاصة أنه وثقت برسائل جبران، التي نشرت فيما بعد في كتاب "الشعلة الزرقاء"، فيما ظهرت عدة رسائل قليلة لـ مي، بسبب فقدان معظمها.

العلاقة بين جبران ومي بدأت بعدما أرسلت "زيادة" مراسلة تبدى إعجابها بكتاب جبران "الأجنحة المتكسرة"، الذي نشره في المهجر عام 1912، وظلت واستمرت المراسلات بينهما ولم تنقطع ورغم طول المسافات ، إلا أن جبران وقع أسيرا لحب "زيادة"، واعترف لها من خلال رسائله لها .

يقال عن جبران إنه أحب مي كما لم يحب رجلا من قبل امرأة، فكانت مي في حياة جبران الصديقة ، والحبيبة الملهمة وحلقة الوصل بينه وبين وطنه ، وأكثر ما أحب فيها عقلها الذي تجلى في مقالاتها وكتبها وأحب فيها حبها له وإعجابها بشخصيته وإنتاجه الأدبي والفني.

فيما انتظرت "مي" 12 سنة لتصرح بعواطفها كتابة لجبران، ولتبين له أن الورق هو الذي منحها الجرأة ، وأنه لو كان يشاركها العيش في بلدها لما جرؤت على ذلك .

رسائل جبران لمي بقيت وتم نشرها فيما بعد في كتاب "الشعلة الزرقاء" وكانت من ضمن رسائله: "تقولين لي أنك تخافين الحب. لماذا تخافينه يا صغيرتي؟ أتخافين نور الشمس؟ أتخافين مدَّ البحر؟ أتخافين طلوع الفجر؟ أتخافين مجيء الربيع؟ لما يا ترى تخافين الحب؟.

أنا أعلم أن القليل في الحب لا يرضيك، كما أعلم أن القليل في الحب لا يرضيني. أنت وأنا لا ولن نرضى بالقليل. نحن نريد الكثير. نحن نريد كل شيء .نحن نريد الكمال.

لا تخافي الحب يا ماري، لا تخافي الحب يا رفيقة قلبي، علينا أن نستسلم إليه رغم ما فيه من الألم والحنين والوحشة ورغم ما فيه من الالتباس والحيرة".

وفيما عرف عن مي زيادة أنها بادلت جبران ذلك الحب، ولكنها انتظرت 12 عامًا كاملة لتكتب ولتعبر عن ذلك وكانت أولى رسائلها: "ما

معنى هذا الذي أكتبه؟ إني لا أعرف ماذا أعنى به! ولكنى أعرف أنك "محبوبى"، وأنى أخاف الحب ، أقول هذا مع علمي بأن القليل من الحب كثير.. الجفاف والقحط واللا شيء بالحب خير من النزر اليسير، كيف أجسر على الإفضاء إليك بهذا، وكيف أفرّط فيه؟ لا أدرى، الحمد لله أنى أكتبه على ورق ولا أتلفّظ به ، لأنك لو كنت حاضرًا بالجسد لهربت خجلاً بعد هذا الكلام ، واختفيت زمنًا طويلًا ، فما أدعك تراني إلا بعد أن تنسى.. حتى الكتابة ألوم نفسي عليها أحيانًا لأني بها حرة كل هذه الحرية.. قل لي ما إذا كنت على ضلال أو هدى.. فأنى أثق بك، وأصدق بالبداهة كل ما تقول! وسواء كنت مخطئة فإن قلبي يسير إليك ، وخير ما يفعل هو أن يظل حائماً حواليك، يحرسك ويحنو عليك."

العقاد هو الآخر وقع في حب مي زيادة ، وبحسب ما نشر عن تلك العلاقة إن العقاد ظل يتكتم مشاعره بداخله ، حتى بدأ رويدا .. رويدًا يصرح به لمي، بل وكان يعترف لها بغيرته من جبران خليل جبران.

أعلن العقاد حبه لـ"مي" في أبياته الشعرية التي أرسلها لها في رسائل حين سافرت إلى ألمانيا 1952، ولعبت مي دورًا خالدًا في حياة العقاد، فقال في أحد اللقاءات أنه لم يحب في حياته سوى "سارة"، الفتاة المجهولة التي أحبها في بداية حياته، و"مي" التي أعطته السعادة ، والتي اعترف بحبه لها في أكثر من مناسبة ووصفها أنها مثقفة قوية الحجة تناقش وتهتم بتحرير المرأة وإعطائها حقوقها السياسية وكان اهتمامها موزعًا بين العلم والأنوثة ، فقد صدمته باستقلاليتها ، وكتب العقاد فيها أبياتًا لم تخرج للنور إلا بعد وفاته:

"عشتِ يا مي هاجرًا أوعطوفًا أنتِ مرموقة على الحالتينِ
عذبيني أعرف مكانكِ عندي وألذّ العذاب لو فيه حيني
وأُهنْ فيك كبرياء عزيـــــز لم يكن قبل أن يراكِ بِهَيْن."!

ويقول العقاد في رواية "سارة"، التي خلَّدت قصة الحب بينه وبين مي (كما يذهب بعض الباحثين) : "يحبها الحب الذي جعله ينتظر الرسالة

أو حديث التليفون كما ينتظر العاشق موعد اللقاء ، كانا أشبه بالشجرتين منهما بالإنسانين.. يتلاقيان وكلاهما على جذوره ويتلاءمان بأهداب الأغصان أو بنفحات النسيم العابر من هذه الأوراق إلى تلك الأوراق".

فيما كانت من ضمن مراسلات مي للعقاد تلك الرسالة والتي ربما حملت اعترافًا ضمنيًا منها بحبها للعقاد "وحسبي أن أقول لك: إن ما تشعر به نحوى هو نفس ما شعرتُ به نحوك منذ أول رسالة كتبتها إليك وأنت في بلدتك التاريخية أسوان. بل إنني خشيتُ أن أفاتحك بشعوري نحوك منذ زمن بعيد، منذ أول مرة رأيتك فيها بدار جريدة "المحروسة". إن الحياء منعني، وقد ظننتُ أن اختلاطي بالزملاء يثير حمية الغضب عندك. والآن عرفتُ شعورك ، وعرفتُ لماذا لا تميل إلى جبران خليل جبران."

وفى مقالها "أنت أيها الغريب" اتجهت الشكوك إلى أنها تقصد العقاد الذي كان يعيش في القاهرة بعيدًا عن أهله.

الشيخ مصطفى عبد الرازق ، شيخ الأزهر آنذاك ، لم يكن وقاره هو الآخر، حصناً آمناً من جاذبية مي ، فأخذ يحبها بصمت وحياء ولم يعبّر عن حبه بالكلمة المسموعة ، واكتفى بالتعبيرِ بالكلمة المكتوبة عبر بعض الرسائل التي كان يراسلها بها وبلغت ثلاثًا إحداها أرسلها من باريس والأخريان من ألمانيا ، بالإضافة إلى تلك الزيارات التي كان يحرص عليها في صالون مي زيادة يوم الثلاثاء من كل أسبوع ، أو من خلال "رسائله ورسائلها" التي نشرت له جموعه رسائل تحوى فلسفة خاصة ، وما أجملها من فلسفة من إنسان عاشق متيم ، يرى الجمال في كل ما حوله .

وتعد الرسالة التي أرسلها عبد الرازق من باريس حجة قوية للإستدلال على ما في قلبه من حب ، إذ بلغ فيها ذروة الرقة ، وجنح فيها إلى حرارة التعبير حين قال: "وإني أحب باريس، إن فيها شبابي وأملى، ومع ذلك فإني أتعجل العودة إلى القاهرة، يظهر أن في القاهرة ما هو أحب إلى من الشباب والأمل" .

الحديث عن عشق مي زيادة تعدى جبران والعقاد ووصل إلى أحمد لطفي السيد ومصطفى الرافعي ، مصطفى عبد الرازق فكلهم أدباء أحبوا مي زيادة.

لكن رغم إتهام مي بأنها تلاعبت بهم ، خاصة بوجود رسائل لها ترد على رسائل العقاد وأخرى لجبران، إلا أن البعض يرى أن أصدق رسائلها كانت إلى جبران، حتى أنه قيل عنها بأن قلبها كان معلقا بالمهجر.

غادة السمان ، تزعم من حين إلى آخر بهوس الكتاب إليها، وذلك عن طريق نشر رسائل حب تخص الكاتب / الفلسطيني غسان كنفاني أو الكاتب / أنسى الحاج.

فالكاتبة التي عرفت أغلب أعمالها بالطابع الرومانسي والجنس، حتى أطلق عليها البعض كاتبة المراهقات، أحدثت عام 1993 ضجة كبرى في الأوساط الأدبية والسياسية عندما نشرت مجموعة رسائل عاطفية كتبها لها غسان كنفاني في الستينيات من القرن العشرين، حيث جمعتهما علاقة عاطفية لم تكن سرًا آنذاك ، واتهمت بسبب ذلك أن نشرها هذا هو جزء من المؤامرة على القضية الفلسطينية التي كانت تواجه مأزق أوسلو وقت النشر.

وكان من ضمن من رسائل غسان لغادة "لا تكتبي لي جوابا.. لا تكترثي، لا تقولي شيئا، إنني أعود إليك مثلما يعود اليتيم إلى ملجأه الوحيد، وسأظل أعود: أعطيكِ رأسي المبتل لتجففيه بعد أن اختار الشقي أن يسير تحت المزاريب"، و كشفت الروائية السورية رسائل حب تزعم أنها كانت قد كتبها لها الشاعر أنسى الحاج في العام 1963 وجمعتها في كتاب شاءته هدية إلى رواد معرض بيروت للكتاب عنوانه "رسائل أنسى الحاج إلى غادة السمان" (صدر عن دار الطليعة).

وإن بدا هذا الكتاب بمثابة مفاجأة كبيرة حملتها صاحبة "لا بحر في بيروت "إلى قرائها وإلى قراء شاعر "الوليمة" فالحدث الذي تتمثله هذه الرسائل يكمن خصوصًا في كشفها "قصة" حب ولو متوهمة أو عابرة قامت

بين الشاعر الذي كان في السادسة والعشرين والكاتبة التي كانت تتهيأ في العشرين من عمرها لدخول عالم الأدب وتحديدًا عالم القصة القصيرة في بيروت التي قصدتها لتواصل دروسها في الجامعة الأميركية وكانت صدرت لها للتو أولى مجموعاتها "عيناك قدري" .

الغريب في رسائل " السمان" أنها لم تنشر إلا بعد رحيل أصحابها سواء غسان أو أنسى، ما فتح الشكوك تجاه صحة تلك الرسائل، كما أنها لم تنشر ردها على تلك الرسائل بداعي أن رسائلها لغسان فقدت ، أو أنها لم تكن ترد من الأساس في إشاراتها لرسائل أنسى الحاج ، ومن ضمن التساؤلات عن صحة ما تدعيه السمان ما ذكره الكاتب والباحث مدحت صفوت في مقال نشرت له في "اليوم السابع" بعنوان " زوبعة غادة السمان" حيث يقول: "غادة ليست نبية، وروايتها بالنسبة لنا ليست أكثر من رواية، ليست الأصدق بالطبع، فهي تدعى أنها لم ترد على رسائل أنسى ولم تكتب له ، ما يشير إلى إخفاء جزء من "الحدث"، الأمر الذي سبق في روايتها لقصة رسائل كنفاني، حين أخفت رسائلها إلى الأديب الفلسطيني بزعم أنها بحثت عنها لتنشرها في الكتاب نفسه ولم تجدها وتحسرت على ضياعها.

(7)

ظلاميون في مواجهة العملاق

في بحث نشره محمد جلال القصاص في موقع "صيد الفوائد" تحت عنوان "هل كان العقاد نصرانيا" يرى فيه أن "كتاب)عبقرية المسيح) أو (حياة المسيح)، عليه السلام ، جاء متأخرًا عن عبقرية محمد ، صلى الله عليه وسلم ، بعقد من الزمن أو يكاد ، وقبيل وفاة عباس العقاد ، فهل يعنى هذا أن العقاد كان نصرانيًا ؟ ويرى الباحث بعد أن تناول آراء العقاد فى المسيح نبوته وقيامته وألوهيته أن "العقاد لم يكن نصرانيًا، بل كان منتسبًا للإسلام يفاخر به أحيانًا ، كل ما هنالك أن العقاد مشاغب ، يقف دائمًا وحيدًا إن تكلم عن النصرانية أو تكلم عن الإسلام ، إن كان في الأدب أو كان في الفكر.

هذا هو العقاد لم ينصر إسلامًا ولم يغظ كفرًا، وإنما أضاع جهده ونفسه في إثبات ذاته ومناطحة أقرانه وفى موضع آخر قال الباحث نفسه عن العقاد "وجد العقاد مكانًا عاليًا بين المثقفين، ذلك أنه اتخذ مكانًا وسطًا بين عملاء الفكر المفضوحين من أمثال طه حسين ولطفي السيد وقاسم أمين وعلى عبد الرزاق، وبين أهل الحق المستمسكين بالكتاب والسنة من أمثال محمود شاكر ومحمد شاكر وسيد قطب، ومحمد محمد حسين، ومصطفى صادق الرافعي ، وخفي أمره على الناس إذ يقيسون الأمر بما ينال الشخص من أمر الدنيا ، وما كانت عند العقاد دنيا ، فقد عاش فقيرًا ومات فقيرًا، وفقره بسبب كثرة خصوماته التي عزلته عن الناس بعد أن كبر سنه.

المفكر عباس محمود العقاد ،عملاق الفكر كما كان يطلق عليه الزعيم سعد زغلول ، كان معروفا بإهتمامه بالفكر الإسلامي وبأنه كان ذا عاطفة إسلامية توضحها كتاباته ودراساته الإسلامية ، ودفاعه عن الإسلام

ضد أراء كثيرة خاض فيها المستشرقين كما نرى في كتابه (حقائق الإسلام وأباطيل خصومه)، لكنه فى الوقت نفسه كان يجل العقل ويقدر دوره في الوصول للحقيقة

السلفيون يهاجمون العقاد ويتهمونه بأنه كان يقيم صالونه الثقافي كل يوم جمعه ولا يذهب للصلاة ، بينما يذهب البعض إلى اتهامه بالعمالة للغرب وأنه يتبنى أفكارًا علمانية لا علاقة لها بالدين الإسلامي،لكن العقاد برأي كبار العلماء قدم خدمة كبيرة للفكر الإسلامي حتى أن الشيخ الباقوري قال عن العقاد،الأستاذ العقاد مجاهد صادق ، بعيد النظر، غيورعلى الإسلام غيرة عاقلة،وقال عنه الشيخ الغزالي ، الأستاذ العقاد خير من كتب عن العقيدة والدين بوعي وإيمان،وأنه صاحب أكبر عدد من المؤلفات الإسلامية الجادة التي تزيد على الثلاثين كتابا،قدمت حقائق الإسلام وأدحضت أباطيل خصومه.

وكان للعقاد إسهامات في المناحي المختلفة للفكر الإسلامي منها السير والتي يأتي على رأسها العبقريات ، والتي تضم عبقرية وأبى بكر وعمر وعثمان والإمام على، كما أن له بحوثا في العقيدة، وفى التوحيد والأنبياء، وأبحاث ودراسات مثل: الإسلام في القرن العشرين ، والإنسان في القرآن. والمرأة في القرآن، و ردود ومناقشات مثل: ما يُقال عن الإسلام - حقائق الإسلام وأباطيل خصومه - والتفكير فريضة إسلامية

بدأ العقاد إسلامياته بكتابه (عبقرية محمد) والذي ألفه عام 1942م وتناولت كتبه الإسلامية من العبقريات وغيرها، وفى كتابه (التفكير فريضة إسلامية)، يرى أن العقل في الإسلام هو مصدر أعمال المسلم وتصرفاته، وأن عليه الاعتماد في ملكاته وقدراته.

واذكر هنا أن إحدى دور النشر والتوزيع قامت بتغيير عنوان كتاب "ذو النورين عثمان ابن عفان" للكاتب الكبير عباس محمود العقاد إلى "عبقرية عثمان" مستغلة سقوط حقوق ملكية الكاتب الراحل .

أول مرة أعرف أن للعقاد كتابا بعنوان (عبقرية عثمان)؟؟!! لم يكتب العقاد أبدًا كتابًا بهذا الاسم.. وكل من قرأ واتصل بتراث العقاد يعلم أنه لم يدرج كتابه عن عثمان بن عفان ضمن عبقرياته.. له نظرية كاملة في هذا الموضوع لك أن تتفق أو تختلف معها.. أنت حر.. لكن تعبث بتراثه.. وتكتب على غلاف كتابٍ من كتبه ما لم يكتبه أو يقصده أو يعنيه فهذا "عبث" و"افتئات" على حقٍ ليس من حقك، ولا من صلاحياتك كدار للنشر أن تتصرف هذا التصرف غير اللائق.. من الواضح أن سقوط حقوق الملكية الفكرية بعد 50 عاما من وفاة صاحبها تعنى عندنا امتهانه والعبث بتراثه.. والتصرف فيه بغير علم ولا روية ولا تقدير لخطورة الفعل.هذه سابقة خطيرة وتفتح بابًا غير محمود العواقب."

حقوق مؤلفات العقاد سقطت في 2014أو قبل ذلك بعام .. وصار من حق أي دار نشر أن تطبع كتبه ، ليس في هذا أي مشكلة ..المشكلة هي العبث والتصرف غير المقبول في هذه الكتب بالصورة التي عرضتها .. يعنى أنك تنشر كتابا وتتعمد تغيير اسمه لتدرجه فى سياق غير الذي ارتضاه صاحبه فهذا " تدليس وغش".. أن تسقط كتابا من سلسلة العبقريات الكاملة ("عبقرية المسيح") وتضع آخر ("عبقرية عثمان") وليس هناك كتاب بهذا الإسم ..فهذا أمر غير مقبول.. غير مقبول فعلا.. ويجب أن يسأل من فعل هذا بعلم أو بغير علم .

و المعروف أن العقاد له كتاب بعنوان ذو النورين عثمان بن عفان وليس عبقرية عثمان .. شأنه شأن كتب التراجم والسير التي كتبها عن معاوية وعمرو بن العاص وفاطمة الزهراء والفاطميون.

(8)

النظرية النقدية عند العقاد

كي نعرف نظرية نقدية ما يجب علينا العودة إلى ما كتبه صاحبها أو أصحابها ، وعليه فنحن نعود إلى ما كتبه الأستاذ العقاد في هذا المضمار ، وبالذات في كلامه عن الأدب والنقد الذي ضمنه كتابه (الديوان في النقد والأدب) ، والذي كتبه بالاشتراك مع الأستاذ / إبراهيم عبد القادر المازني ، وصدر سنة 1921 .

في هذا الكتاب نطلع على الملامح العامة للنظرية النقدية لدى العقاد ، وهي تكاد تنحصر في فن الشعر العربي ، وبالرغم من أنها تتحدث كثيرًا عن الأدب فهي تتخذ كل أمثلتها من الشعر ، وتناقش كل قضاياها على أساس ما يتصل به .

ومن أهم معالم هذه النظرية أنها تفهم الشعر على أساس ترجمة الذات ، والتعبير عنها ، أي أنها تفهمه على أساس العلاقة المتبادلة بين النتاج الشعري وحياة صاحبه ، بحيث يكون على الشعر سمة منشئه ، وبحيث نفهم أحداث حياة الشاعر وخصائصه النفسية من خلال إبداعه الشعري .

فابن الرومي الشاعر العباسي الكبير حين يصف لنا حمالًا فقيرًا مجهدًا وصفًا مؤثرًا ، يقرأ الأستاذ العقاد هذا الوصف ، ويستنتج منه ذلك التعاطف المتواجد (المتوحد) بين ابن الرومي والحمال ، ويدل الوصف من وجهة نظر العقاد : أن ابن الرومي يرى ذاته في هذا الحمال المكدود المتعب ، ويمجد فيه قيمة العمل ، والإعتماد على النفس (الذات) ، وعدم سؤال الناس أعطوه أو منعوه ، لأن هذه الصفات هي صفات شخصية ابن الرومي نفسه ، فهو يفضل الفقر والفاقة على مدح من لا يستحقون ، وبذلك يكون كل همه التكسب بالشعر .

يقول ابن الرومي في وصف هذا الحمال الفقير :

رأيت حمالاً مبين العمى يعثر في الأكم وفي الوهد
محتملًا ثقلًا على رأسه تضعف عنه قوة الجلد
وكلهم يصدمه عامـــدًا أو تائه اللب بلا عمـــد
وما اشتكى ذاك ، ولكنه فر من اللوم إلى الجهد

إذن العقاد لا يرى في الشعر سجلًا ديناميكيًا أو أرشيفًا لحوادث الحياة ، وإنما يتمثله رؤية خاصة للحياة نفسها ، وللعقاد رأي في شعر مدرسة الإحياء والبعث والتي يحلو لبعض مؤرخي الأدب أن يطلقوا عليها الكلاسيكية الجديدة ، والتي كان رائدها / محمود سامي البارودي رب السيف والقلم ، ومن متبعيها : محمد عبد المطلب الشاعر البدوي ، وإسماعيل صبري الشاعر الرقيق ، وأحمد شوقي أمير الشعراء ، وحافظ إبراهيم شاعر النيل ، وعلى الجارم شاعر العروبة .. وغيرهم .. وغيرهم.

لقد نظر العقاد إلى الشعر الذي كان ينظم في زمانه ، فرأى أنه لا يحقق نظريته النقدية ، وذلك لأنه في نظره جاء شعرًا اتباعيًا ، تقليديًا وليس إبداعيًا ، يحاكي القدماء أكثر مما ينظر في النفس الإنسانية ، وفي الحياة بوجه عام ، وهو أي شعر الكلاسيكيون ، يتتبع المناسبات أكثر مما يعنى بقضايا الإنسان ومشاكله ، وأحاسيسه ، وينظر إلى الفن على أنه لهو وتسلية ، وهو في الحقيقة جد وجوهر .

لقد رأى العقاد كل ذلك فحمل حملته الشعواء القاسية على ذلك الشعر ، واتخذ من أحمد شوقي أمير الشعراء ، وأكبر ممثلي هذا الاتجاه بعد رحيل البارودي عن عالمنا الفاني سنة 1904 ، اتخذ العقاد من شوقي رغم شعبيته الجارفة ، وكثرة عشاقه ومريديه والمعجبين به اتخذه هدفًا عمد إلى تحطيمه ، ليقيم على أنقاض الشوقية نظريته الجديدة في الشعر .

ومهما يكن من مغالاة في موقف العقاد من شوقي ورفاقه ، وتحامله عليه ، فإن آراء العقاد وجهت أنظار القراء والنقاد والأدباء والمثقفين في

أنحاء العالم العربي إلى نهضة شاملة للشعر العربي ، وإلى آفاق جديدة له ، وقد أحدث ذلك نشاطًا واسعًا في حياتنا الأدبية .

لقد وقف الأستاذ / العقاد ، والذي تأثر تأثرًا كبيرًا بالمدرسة الرومانسية الإنجليزية ، أيام قوة ازدهارها ، وقف موقف الرفض والعداء السافر من شعراء الكلاسيكية العربية التي أطلق عليها الاتباعية أو التقليدية ، مؤكدًا على أن الشعر تجربة شعورية لها طابع فردي ، وعليه فلم يعتد إلا بالشعر الذي يبرز شخصية قائله ، ويحمل سماته النفسية.

كما أكد العقاد وجوب الوحدة الموضوعية ، ودعا إلى ضرورة البناء العضوي أي الوحدة العضوية للقصيدة والتي تعني : وحدة الموضوع ووحدة الجو النفسي للقصيدة الشعرية ، وقد أنكر وحدة البيت .

كما أولى أستاذنا / العقاد مع جماعته ، جماعة الديوان سنة 1921 ، والتي تكونت في بدايتها من العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني وعبد الرحمن شكري ، أولوا الخيال عناية خاصة ، ودعوا إلى ما يسمى بالشعر المرسل (الوزن واحد والقافية متغيرة) ، فقد رأى أن وحدة القافية رتابة مملة ، مع أنه التزمها في الكثير من أشعاره هو والمازني وشكري ، ولذلك وصف البعض جماعة الديوان أو رائدها العقاد بأن آراءهم آراء نظرية بحتة غير تطبيقية ، فقد تكلموا عن أسس نقدية نظرية لم يطبقوها.

لقد ظلت الحملة الشعواء التي شنها عملاق الفكر / العقاد على أمير الشعراء / أحمد شوقي والشعر الكلاسيكي بوجه عام محصورة في المحيط النظري فترة من الزمن ، ولكنها ما لبست أن وجهت أنظار الشعراء العرب إلى ذلك النبع الجديد الثري الذي كان العقاد ينادي بارتياده ، والولوج إليه ، وكان من جراء ذلك أن ظهر شعراء جدد ينظمون شعرًا تجلت فيه سمات الرومانسية التي نادى بها العقاد ، وقد عبرت عن آراء هؤلاء الشعراء مجلة (أبوللو) الشعرية الرومانسية ، والتي أسسها سنة 1931 ، العالم والشاعر الدكتور / أحمد زكي أبو شادي .

وكان الدكتور / إبراهيم ناجي الشاعر الرومانسي الرقيق (شاعر الأطلال) وكيلًا لها ، واتخذت هذه الجماعة من شاعر القطرين أي مصر وسوريا / خليل مطران أبًا روحيًا لهم ، والبعض يعتبر مطران هو رائد الرومانسية الشعرية في بلادنا العربية ، إلا أن البعض الآخر يرى أن الشاعر المهجري / جبران خليل جبران هو الرائد الحقيقي للرومانسية في الشعر العربي .

أقول لك مهما يكن الأمر ، فقد كان من أعضاء هذه الجماعة : الدكتور / إبراهيم ناجي ، وعلي محمود طه المهندس ، ومحمود حسن إسماعيل (من مصر) ، والتيجاني يوسف بشير (من السودان) ، وأبو القاسم الشابي (من تونس) ، وأحمد الشامي (من اليمن) .. وغيرهم ..وغيرهم ..

هذا المد التجديدي الشعري ، وما صحبه من حوارات ومناقشات ومعارك فكرية وأدبية وثقافية واسعة حول طبيعة الشعر ، هذا المد أصاب العقاد نفسه مع مرور الأيام ، وتبدلت الظروف والصروف وتغيرت الأحوال واختلفت طبائع الأمور ، ودار الزمان دورته التي لن تتوقف إلا يوم الموقف العظيم ، وكانت النتيجة وجود وظهور أفكار نقدية حديثة حول الشعر بوجه خاص ، والأدب بوجه عام ، وقف العقاد ضدها ، فاتهمه أصحاب هذه الأفكار المستحدثة بأنه رجعي ، بعد أن كان خير ممثل للتقدمية ، حين دعا دعوته التي تهجم فيها على رحاب شوقي ، الذي كان عند البعض يمثل حرمًا مقدسًا لا يصح الإقتراب منه بأي حال من الأحوال.

ونحن لا نجد أي غضاضة من القول بأن العقاد والديوانيين أو العقاديين قد اقتصر الجانب التجديدي في نظريتهم الشعرية على جانب المضمون الشعري فقط لا غير ، وبقى جانب الشكل لديه محافظًا يخضع له كل الشعر العربي ، ومنه شعر شوقي الذي ثار عليه العقاد متهمًا إياه بأنه يلتزم إطارًا موسيقيًا معينًا قائمًا على وحدة الأوزان ، ووحدة القوافي أو تنوعها تنوعًا ضيقًا محدودًا .

عند نشأة المدرسة الجديدة ، أو المدرسة الواقعية الجديدة ، أو مدرسة الشعر الحديث ، أو مدرسة الشعر الحر ، أو مدرسة الشعر المنطلق ، حوالي عام 1948 ، والتي تقوم على أساس وحدة التفعيلة في الشعر لا على وحدة البحر والقافية ، وتبعتها حركة نقدية تقنن لها ، وتدعو إليها ، وقف العقاد لهذه الحركة بالمرصاد ، ونعى عليها تغيير الإطار الموسيقي العام للشعر العربي ، ووجه لهذه المدرسة مختلف التهم ، ووصف نتاجها بأنه نثر لا يمت إلى الشعر العربي بأية صلة .

وقد رد دعاة هذه الحركة الشعرية على الأستاذ / العقاد بأنه أصبح يعترض طريق التطور بعد أن كان من أعظم دعاته .

أذكر هنا أنه في صيف 1995 ، وفي مجلة تدعى (عالم اليوم) ، قال الشاعر / نزار قباني : إن شعر العقاد صفر على الشمال !!! ، وقد رد عليه أديبنا العالمي / نجيب محفوظ في حديث نشرته صحيفة الأهرام القاهرية يوم 31 / 10 / 1995 ، حيث قال : فلنسامح الشعراء في حكمهم على بعض ، العقاد كان شاعرًا عقلانيًا إلى حد ما ، ولقد كان أبو العلاء المعري عقلانيًا أيضًا ، وهو من أعظم الشعراء ، وممكن أن يكون الإنسان عقلانيًا وشاعرًا له فلسفته وشعره مفهوم ، وليس مطلوبًا من كل الشعراء أن يكونوا سمرة (من أهل السمر) مثل نزار قباني ، ويصح أن يكون الشاعر مفكرًا أيضًا .

مما لا شك فيه أننا نحب شعر نزار حبًا شديدًا ونعجب به ، ولكن شتان شتان بينه وبين شعر العملاق ، ومجرد المقارنة بينهما أمر مرفوض وغير مقبول ، فالعقاد هو العقاد ، أما نزار فله عالمه المعروف ، وسوف نتناول في مقام لاحق شاعرية العقاد ، فلعلنا نوفق .

وبالطبع نحن نقدر ونحترم ونجل ونثمن شعراء الشعر الحر أو الشعر المنثور أو النثر المشعور ، ولكن نتفق مع أستاذنا / العقاد في أنه كان يخشى من حركة الشعر الحر التي قد تؤثر بالسلب على شعرنا العربي ، فن العربية الأول.

يقول البعض : كم من الجرائم ترتكب في حق شعرنا العربي الأصيل بإسم الشعر الحر ، انظروا إلى المشهد الشعري واحكموا بعدلكم الذي عهدناه منكم ، هل يرضي أحد ما نراه من حال الشعر العربي ؟ !

ويقول آخرون : مازالت الآراء إلى يومنا هذا تتباين تباينًا شديدًا حول هذا الإتجاه ، رغم أنه أصبح له القدم الراسخة في واقعنا الشعري ، ولكن أقول لكم وبصراحة شديدة من لا يعرف كتابة القصيدة الكلاسيكية من رابع المستحيلات أن يكتب لنا قصيدة من الشعر الحر ، أرجوكم أن ترجعوا إلى رواد الشعر الحر أنفسهم فلديهم الخبر اليقين .

مما لا شك فيه : إن تقاليد هذا الإتجاه ، مع مرور كل هذه السنوات ، اتضحت جلية ، بعد مرور أكثر من ستة عقود ، وقد وضعوا من مقومات للمضمون ، و اتخذوا من الوسائل لتحقيق مقومات المضمون عندهم بتقاليد جديدة تتعلق بإطار القصيدة وموسيقاها وأدوات التعبير فيها ، وعليه فقد أصبح لهذه المدرسة من المقدرة على شق طريقها بفضل سيطرة اتجاهات سياسية معينة على وسائل الإعلام والثقافة في فترات معينة .

ولكن الأمر المحزن حقًا ما نراه على الساحة الثقافية من هؤلاء المتشاعرين الذين يتصدرون حركة الشعر أو فلنقل المشهد الأدبي على عمومهم ، زاعمين أنهم من الواقعيين أو المجددين أو الملتزمين بقضايا المجتمع ، ورغم كل ذلك فما يتشدقون به مازال تعوزه مقومات الشعر الأساسية الحقيقية ، وبالطبع هذه وجهة نظرهم والتي علينا تقديرها واحترامها .

أيها القارئ الكريم : نحن لسنا في مجال مناصرة أمير الشعراء / أحمد شوقي بمدرسته الإتباعية الكلاسيكية على العقاد بمدرسته التجديدية الثائرة التي ظل يدافع وينافح عنها إلى آخر يوم في حياته ، ولا مناصرة العقاد المثقف فكرًا وفلسفة على الشاعر التقليدي صاحب الشهرة والإمارة والسلطان والنفوذ ...

وفي نفس الآن لسنا في مجال الحكم للعملاق / العقاد أو لدعاة أصحاب الشعر الحر ، قال لي رجل عجوز اقترب من الفناء كحالي : أن الشعراء الجدد بحمد الله تعالى وتوفيقه أصبحوا يقتربون من المليون أو أكثر ، فقد تحول الناس أو أكثرهم إلى شعراء ، والخوف كل الخوف أن نصبح جميعًا شعراء ونبدأ في البحث عن بشر يستمعون إلينا أو يقرؤون لنا !!.

قال صديقي ونحن نتحدث عن العقاد : أنا لا أكتمك سرًا ، رغم أنني أدمنت الشعر في شبابي الباكر ، ونشرت العديد من القصائد المشعورة ، ثم اكتشفت بفضل الله أنني ليس بشاعر ولا أنتمي بأي حال من الأحوال إلى قبيلة الشعراء ، والحمد لله الذي عافانا ،وأضاف قائلا : إنني لا أستريح بأية حال من الأحوال لهذا الشعر المسمى بالشعر الحر أو الحديث أو المشعور أو المنثور، فكل من هب ودب يقول لك : إنني شاعر وقد يتجرأ عليك عندما تأخذه العزة بالإثم فيزعم أنه أمير الشعراء أو شاعر المليون !! ، وعندما تسأله : أتسمي ما تقوله شعرًا ، والشعر له قواعد وأصول وقيم وأسس وتقاليد ، فيبادرك على الفور وهو مازال حدثًا غريرًا : أنا أكتب الشعر الحديث ، وقد مضى زمن شعركم هذا دون عودة ..كفاكم تحجرًا..!!!

وهنا تدخل في الحوار صديق عجوز آخر : إذن هذا الشعر المسمى بالشعر الحر قد جنى جناية كبرى على واقع الشعر العربي الراهن بكل أسف ، وأرجوكم أن تقرؤوا الشعر الذي ينشر في الصحف والمجلات ، وتستمعوا إلى ما يقال في المنتديات والملتقيات ومعارض الكتب ، وبعدها قولوا لي بالله عليكم ، هل هذا من الشعر، أو لهذا علاقة بالشعر ؟؟

أقول لكم : إن مقتضى الحال والأحوال يؤكد على أن التجديد والتطوير من السنن الإلهية ، ومن ذا الذي يجرؤ على أن يقول غير ذلك ، وطبيعة الحياة تجديد وابتكار ، بحيث أن يتجاوب كل جديد مع عصرنا وما يعتريه من وقائع ونوازل ومستجدات ، والأدب مرآة الحياة وسجلها الصادق ، فلنكتب ما نشاء من أنواع الفنون أو الأجناس الأدبية أو الكتابية ، ولكن المهم أن نكون على درجة عالية من الثقافة والعلم والدراية والإدراك بالأدب

وفنونه المختلفة ، أضف إلى ذلك الموهبة الأدبية الأصيلة التي تؤهلنا من التعاطي أو التعامل مع الفن الكتابي الذي نريد أن نتعامل معه .

وعليه فالموهبة الإبداعية هي المهم والأهم ، وبعد ذلك تأتي مسألة الصقل والدربة على الممارسة الأدبية ، أقول هذا إذا كنا نريد النهوض بالإبداع الأدبي ونصل بأدبنا إلى العالمية ، وإلى تقدير شعوب المعمورة الأرضية .

أضف إلى ذلك مسألة مهمة ألا وهي أما كفانا صراعات وخلافات أدبية وفكرية ، فلنحاول أن نقدم أدبًا محترمًا راقيًا ، أدبًا يفيد الناس ويحترم تفكيرهم ، أدبًا يسمو بهم إلى الأفضل والأحسن ، لك الحق في أن تبدع وتكتب كيفما تشاء ، ولكن لا تصادر حق الآخر في ذلك ، واعلم أن الذي يقيم إبداعك ويضعه في المكانة أللائقة به هم أهل النقد والرأي والفكر ومؤرخو الأدب ، ناهيك عن جمهور القراء الذي بدون إقباله علينا واستحسانه لنا ، علينا أن نبحث عن عمل آخر غير الإبداع الأدبي ، ما أروع أن نؤمن بذلك فلا يميل بنا الهوى فيمن يميل ، وأيضًا لا يأخذنا الشطط كما يحلو له .

وختامًا : لهذه الجزئية أقول : إن ما يستحق النظر فعلاً هو أن الغدير الذي ركد وأسن فترة طويلة تحرك إثر إلقاء الأستاذ / العقاد فيه بحجر ، واستمرت هذه الحركة ، حركة الماء في الغدير التي استحالت شلالاً زاخرًا ، استمرت الحركة وسرت في اتجاهات وطرائق قددا ، أصاب العقاد العملاق نفسه منها رشاش .

والتاريخ العاقل الصادق خير حكم ، المهم ألا نقف ، ألا نصمت ، ألا نتردد عن مواجهة حراس الجهالة الصامدين من الأدعياء ، ألا يلفنا الجمود والتحجر ، وألا نعود للركود ثانية ، على أن نجمع بين الوافد والموروث ، بين المعاصر والأصيل ، فهل من مجيب .!!!!

(9)

في شاعرية العقاد

لا نبالغ إذا قلنا أن الأستاذ / العقاد كتب في جميع أغراض الشعر ، وفيما يلي سنحاول الوقوف عند بعض هذه الأغراض :

الوصف في شعر العقاد :

الوصف الشعري من الأغراض القديمة في الشعر العربي ، وقد وصف الشعراء الطبيعة في البيئات البدوية والحضرية ، إلا أن الوصف تطور بعد ذلك تطورًا كبيرًا ، واتسعت آفاقه حتى أصبح فنًا مقصودًا لذاته ، وافتتحت به القصائد ، وشمل مظاهر الجمال الطبيعي ، والصناعي كالقصور والبساتين والبحيرات والبرك والنافورات والمصانع والآثار ، والسفن والأساطيل والمعارك الحربية .

أما إذا أردنا أن نقف عند شعر العقاد الوصفي فنرى أن له قيمة عظيمة في فنه الشعري ، فقد وصف الكثير من مظاهر الطبيعة : كالبحر والنيل ، والصحراء ، والربيع ، والخريف ، والشتاء ، وجعل كل ذلك موصولاً لنفسه وأمانيه وأحلامه .

وهو لا يفصل الظاهرة الطبيعية عن الظاهرة النفسية في شعوره وفكره ووجدانه ، وهو أحيانًا يسرف في ذلك حتى تصير القصيدة الوصفية لديه قصيدة فلسفية متكاملة في ذهنيتها .

ولكنه أحيانًا أخرى يبدو رقيقًا جدًا ، واضحًا للكافة ، ولرقة المقطوعة التالية أُختيرت شعرًا يتغنى به بعض المطربين ، وصنع منها لحنًا خفيفًا عذبًا ، وهي في وصف القمر ، يقول العقاد في هذه (الرائية):

فضض الماء يا قمر   وانقش النور في الحجر
وانظم الغصن بالندى   وألثم الزهر في الشجر

واجعل الكون ضاحكًا عند سماء من الغرر
واملك الليل مغردًا ومع الشمس في البكر
في مجاليك راحة راحة النوم والسهر
في لياليك بهجة بهجة الفكر والنظر
ليس كالليل في الظلا م ولا الصبح في الكدر
أنت كالطيف في الدجى ناعس الطرف يا قمر
شاهد الليل لا تجم واتل ما شئت من ذكر
قد تناسيت ما مضى ولنا اليوم ما حضر
من يذق لذة الهوى يسل لذاته الأخر

وعصفور العقاد ينطلق بين الأيك والأيك ، دون حدود أو قيود ، بين السحب والروض ، بين الماء والشجر ، طائرًا مرفرفًا حتى بين الشباب والشيخوخة ، لا يسكن له جناح ، مرفرفًا قط ما استقر ، يقول العقاد :

طار وليدًا وطار شيخًا بين البساتين والغدر
حط على الغصن وانحدر أقل من لمحة البصر
مغردًا قط ما تواني مرفرفًا قط ما استقر
كخفة الطفل في صباه لكنها خفة العمر
سله عن الجند والزمر سله عن الملك والسرر
لم يأته عنهم بلاغ ولا دليل ولا خبر
هذا هو العيش فاغبطوه عليه أيها البشر

حقًا ، ودون مبالغة نحن أمام شاعر عملاق ، شاعر يعزف أنشودة الجمال والحرية ، شاعر يعبر بجلاء واقتدار عن الإنسان ، ,عن الشخصية الإنسانية ، شاعر ينطلق من الفكر المثوب بالعزة والكرامة والكبرياء .

الوطن في شعر العقاد :

أقول لك أيها القارئ المفضال : إن شعر العقاد الوطني أو السياسي موضوع يحتاج من الباحث إلى مجلدات ، وذلك ليس مجاله ، كل ما نحب أن نوجزه هنا أن العقاد شارك مصر والعروبة والإسلام كل سراء وضراء

، ووقف إلى جوار أمته في أوقات الشدة ، وفي أوقات الرخاء ، وسجل كل ذلك في أشعاره العديدة ، وفي دواوينه الشعرية الكثيرة ، ذلك نلمح فيضًا عقاديًا من الشعر الراقي الرصين المحترم يسجل أحداث الوطن ، ويمدح بكل تجرد عظماءه وأبطاله ورجاله الذين ضحوا من أجله بكل غال ومرتخص ، ويرثيهم أصدق رثاء .

هيا بنا نقرأ تلك الأبيات التي كتبها الأستاذ / العقاد تحت عنوان : (يوم الجهاد) ، وهو يتجه فيه إلى بني مصر في كل مكان فيحثهم على العمل والنضال والجد والجهاد والاجتهاد ، ويؤكد في نفوسهم معنى الوطنية والانتماء والولاء ، ومعنى الحرية والكرامة والاستقلال ، وذلك في شعر واضح قوي البناء ، جهير الموسيقا ، تمتزج فيه مخاطبة العقل بمخاطبة الوجدان في نسق واحد متكامل ، يقول العقاد :

بني مصر صونوا لها حقها … كبار النفوس كبار الشيم
لكم مصر لا لدعي دعا … ولا لذوي سطوة أو غشم
لكم مصر حيث يقر الثرى … وحيث يرف عليها العلم
وحيث جرى النيل من أرضها … وحيث نما شعبها وازدحم
وحيث تلاحق موج البحار … على جانبي شطها والتطم
وحيث تلألأ ضوء الشموس … وأسفر عن صحوها وابتسم
فلا تتركوا ذرة من ثرى … لباغ ولا قطرة من خضم
ولا لمحة من شعاع سرى … ولا نفحة من نسيم نسم
لكم وحدكم ما ضننتم به … وما يستباح وما يغتنم
فما تبذلون فذاك الكرم … وما تمنعون فنار ودم
وهذه الكنانة من رامها … بسوء وهى ظهره وانقصم
وأنتم لها سيفها المنتضى … وأنتم لها عزمها المعتزم
فقولوا : يرد لها مجدها … يرد ، وما تم بالعزم تم

هذه الأبيات الصادقة المعبرة والتي هي حديث من القلب إلى القلب لكل مصري على أرض الكنانة ، وبوجه خاص شباب مصر الذي نعقد عليه الأمل في مستقبل أفضل وأحسن لبلادنا ، ويذكر كاتب هذه السطور أنه

عندما بدأ حياته العملية كمعلم للغة العربية في مدارس وزارة التربية والتعليم في السبعينات من القرن العشرين ، كان يدرس هذه القصيدة الرائعة لطلاب المرحلة الإعدادية ضمن منهج النصوص الأدبية المقرر على الطلاب ، أنظروا معي ماذا كان يدرس لأولادنا والآن ماذا ندرس لهم !! ؟؟ .. نسأل الله السلامة وصلاح الحال والأحوال .

أعود لأقول لك إن الأستاذ / العقاد رثى زعيم الأمة المصرية / سعد زغلول ، بقصائد رائعة تبلغ (200) بيت شعري ، منها (187) بيتًا في ديوانه (أشجان الليل) ، والذي صدر سنة 1928 ، وهو الديوان الشعري الرابع للأستاذ / العقاد (تقريبًا) ، ونحس فيها صدق اللوعة ، وزفرة الأسى على فراق هذا الزعيم الوطني الذي لن يتكرر .

كما أنه رثى الزعيم الوطني / محمد فريد ، الذي ظلمناه حيًا وميتًا ، بعد أن ظلمته الظروف والصروف ظلمًا بينًا ، رثاه بقصيدة (قافية) تقطر ألمًا وحزنًا وأسًا ، وعليه ـ ومن وجهة نظري الخاصة ـ فإن هذه القصيدة من أفضل ما كتب في رثاء هذا الزعيم البطل الذي همشنا دوره زورًا وبهتانًا .

ولم يرث العقاد أحدًا من الحاكمين أو أصحاب الجاه والنفوذ والسلطان ، بل رثى ومدح رجال مصر الأفاضل أصحاب الدور المشهود في نهضتها ورقيها .

لم يمدح أحدًا كما مدح الملك المصري (رمسيس) ، في اعتزاز الحي بنفسه ، والمصري بأمسه ، والوطني بكرائم تاريخه ، وآيات مجده .

جاء مدح العقاد للملك الفرعوني (رمسيس) في ديوانه (وهج الظهيرة) ، الصادر سنة 1917 ، وهو الديوان الثاني للعقاد (تقريبًا) ، ونشعر من قراءة هذا المدح الراقي ، والذي جاء في الصحيفة (191) من الديوان ، نشعر أننا أمام طبعة من المدح لم يبلغها في شعره حاكم في عصر ، وهو دليل صدقه النفسي والفني ، ومصر الفرعونية لم تبرح من العقاد

الفكر والقلب ، حتى عندما كتب عن أطلال (بعلبك) اللبنانية التي خاطبها في قصيدة (ميمية) جاء فيها :

أتاك من الوادي الذي في ضفافه تسامى (لأمون) البناء المدعم
يحيك عن (أمون) في مستقره وأنت المحيي باسمه والمسلم

الحياة اليومية في شعر العقاد :

شعر العقاد هو ذلك الشعر الذي يسجل ويرصد حركة الحياة اليومية ، فقد رصد العقاد في ديوانه (عابر سبيل) ، وهو الديوان السابع له ، والصادر سنة 1937 ، رصد العقاد حركة الحياة ، وهي تمضي في مسيرتها العادية أو فلنقل الحياة اليومية التي نعيشها جميعًا ، سجلها في شعر طريف بعيدًا عن السوقية و الإبتذال والغوغائية ، وبعض الشعر العقادي في هذا الديوان يصل إلى درجة بالغة من اليسر والسهولة والبساطة ، ولكنه مع يسره وبساطته نرى وراءه الفكرة العميقة والفلسفة الجادة الهادفة .

والآن فلنذهب معًا كي نتأمل هذا الديوان المهم ، ومن المفيد لنا كرفاق لرحلة دراسة هذا الديوان وتأمله ، أن نقف عند المقدمة النثرية التي قدم بها العقاد لديوانه ، وشرح فيها فكرته .

الأستاذ يقرر أن مدلول اللغة يتحدد ضحالة وعمقًا بما يكمن في التعبير عن العواطف والذكريات ، فجملة (أنا حاضرة اليوم) إذا كتبتها معشوقة إلى عاشق حملت إليه من الفرحة والشوق ، وأشاعت في نفسه الأمل واللذة ، ما تضيق عنه أشعار العبقريين ورسائل البلغاء ، وهي بعد من أتفه الجمل التي يتألف منها الكلام المركب المفيد ، وليس في وسع تلميذ يتدرب على تأليف الجمل من مبتدأ وخبر أن يأتي بأتفه منها في الكلام .

ويستمر العقاد في ضربه للعديد من الأمثلة شارحًا لنا كيف أن الإحساس هو الذي يحدد صلاحية موضوع بعينه للشعر ، ويرى أنه إذا توافر الإحساس لدينا فكل موضوع يصلح موضوعًا شعريًا .

والعقاد يشكك في المفهوم التقليدي للموضوعات الشعرية ، ذلك المفهوم الذي كان يقصر هذه الموضوعات على المظاهر الخطيرة في الطبيعة ، والحوادث المهمة في الحياة ، وهو يرى أن الشاعر الذي لا يستطيع أن يكتب شعرًا إلا في موضوع مهم شاعر ضعيف .

ويؤكد أن النفس التي لا تستخرج الشعر إلا من هذه الموضوعات هي كالجسم الذي لا يستخرج الغذاء إلا من الطعام المتخير المستحضر .

فديوان (عابر سبيل) عندما ننظر إلى قصائده نحس أن الرجل يكتب شعره في أي مكان يريده ، وفي كل مكان يراه ويتأمله ، في البيت الذي يسكنه ، وفي الطريق الذي يولجه كل يوم ، وفي الدكاكين ومعروضاتها ، وفي السيارة ، وفي كل الأشياء التي تحسب من أدوات المعيشة اليومية ولا تحسب من دواعي الفن والتخيل ، لأنها كلها تمتزج بالحياة الإنسانية ، وكل ما يمتزج بالحياة الإنسانية فهو ممتزج بالشعور وصالح للتعبير ، وواجد عند التعبير عنه صدى محببًا في خواطر الناس .

ومن مقدمة العقاد المهمة ندلف إلى قصائد الديوان نفسه لندرك على نحو عملي ما يقصده العقاد بالموضوعات العادية التي يريد أن يخلع عليها من الإحساس ما يجعل منها موضوعًا للشعر ، وتمثل هذه الموضوعات مظاهر الحياة اليومية ، كما تدل عليها موضوعات القصائد التالية : (عسكري المرور) ، و (كواء الثياب ليلة الأحد) و (سلع الدكاكين يوم البطالة) .

والقارئ لقصائد العقاد يجد فيها بجلاء فكرة القصيدة أو الفلسفة الكامنة وراءها على نحو قريب ، ففي قصيدته (واجهات الدكاكين) مثلاً نراه مشغولاً بتقديم فكرة القصيدة التي تتلخص في أن هذه الواجهات المتألقة تخفي وراءها من المعاني المؤلمة ما يبتعد كثيرًا عن الجو المبهج الذي يوحي به تألق هذه الواجهات .
يقول العقاد :

هذه المطارف صفقت عجبا فانظر وراء ستارها عجبا
كم منظر تجلوه مبتعدًا أو منظر تجلوه مقتربا
تحكي الفواجع كلهن لنا صدقًا ولا تحكي لنا كذبا
هذا الستار فتح جانبه تجد القضاء يهيئ اللعبا
انظر إلى النساج منحنيا يطوي بياض نهاره دأبا
وانظر إلى (السمسار) مقتصدا أو طامعًا في الربح مغتصبا
وانظر إلى التجار ما عرفوا غير النضار وعده تعبا
وانظر تر الشارين قد سمحوا بالمال يقطر من دم صببا
وانظر ترى الحسناء لابسة لم تلتمس غير الهوى أربا
لو تعرف الحسناء ما صنعت شقت جيوب ردائها رهبا

وللعقاد مقطوعة أخرى في نفس الديوان ، بعنوان (عسكري المرور) ، ويبدأها بملحظ يسير ، ووصف مختصر للموقف ، ولكنه مع ذلك لا يخلو من الإشارات الذهنية ، والمقابلات المنطقية التي عودها علينا العقاد ، حتى إذا قاربت المقطوعة نهايتها خرج لنا صراحة بالفكرة الفلسفية الكامنة وراءها ، ولخصها لنا في بيت واحد .

وقصيدة (سلع الدكاكين في يوم البطالة) هذه السلع التي تحولت إلى كائنات حية تطلب من العقاد ومنا أن ندركها ونطلقها ، فقد طال بها المدى بين قعود ووقوف ، البضائع التي تركها الشارون خلف الواجهات في يوم عيد عيدوه ، ومضوا في الخلوات ، دون أن يعيروها أي اهتمام .

والقصيدة تفلسف مع أبياتها قضية الحرية والركود ، والبضائع تتفلسف هي الأخرى من مكانها التي تركد فيه دون أن يسأل عنها أحد .

أما عن لغة العقاد الشعرية في ديوانه (عابر سبيل) لعلك تتفق معي بأنها أسهل بشكل كبير ، كما نقرأ في هذه القصائد ، من لغته التي عهدناها في بقية دواوينه الشعرية ، وقد تهبط إلى مستوى اللغة التي تتردد على ألسنة الناس العاديين ، في حياتهم اليومية ، فهي لغة أدبية يسيرة ، وإن لم تخل

أحيانًا من بعض الكلمات الغريبة التي وجد العقاد نفسه مضطرًا لشرحها وفقًا للسياق ، في هوامش صفحات الديوان .

إذن الأدب ما هو إلا إنعكاس للواقع الإجتماعي ، واقع بلادنا في حاضرها ، في مسيرتها الحياتية ، المهم أن نقدم ذلك بشكل راق محترم بعيدًا عن الإنحطاط أو الإبتذال أو السوقية ، فالأديب الحق من ارتقى بمشاعر الناس وسمى بهم إلى التحضر والرقي .

أعود بك لأقول : إن المفكر أو الفنان أو الأديب عندما يعبر ، إنما يختار مادته الخام من عناصر هذا المجتمع ، ومن علاقاته المتفاعلة ، وهذا ما فعله العقاد في ديوانه (عابر سبيل) والذي أطالب في هذه السطور كل من يتعاطى الأدب أو أدركته حرفة الأدب أن يعود إليه ويدرسه حق دراسة .

إن ما فعله الأستاذ / العقاد في إبداعه عبر قصائد هذا الديوان ، ويجب أن يفعله كل أديب صادق ، وكل فنان مبدع ، أراد هذا أم لم يرد ، قصد هذا أم لم يقصد ، وأن هذه العناصر والعلاقات تكشف لنا عن مدلول الثقافة والعلم في حياتنا المعاشة بجميع جوانبها .

إن العقاد عبر في شعره دون مبالغة عن بلادنا التي نعرفها حق معرفة ، بلادنا التي يعيش فيها الملايين من العمال والفلاحين والطلبة والجنود والموظفين والتجار ، الذين يعملون في المتاجر والمصانع والحقول والمعامل والمصالح الحكومية ... عبر الأستاذ عن بلادنا التي يتصارع في ضميرها دائمًا وأبدًا القلق والأمل ، وهذه هي الحياة التي يجب أن يعبر عنها أصحاب الأقلام الذين يحبون هذا البلد بحق ، ويأملون دائمًا وأبدًا في رقيه وتقدمه .

أقول لكم : إن هذه الملايين من أبناء بلادنا ، هي التي استطاعت أن تزود العقاد عرضًا وجوهرًا بمادة فنية خالدة ، احتوتها لغته الحيوية المعبرة ، ما أجمل أن نعود إلى أدب الأستاذ لنتعلم منه ، وفوق كل ذي علم عليم .

(10)

رؤية العقاد للإصلاح الفكري والأدبي

لعلك تتفق معي في أن المبدع أو المفكر الذي لا يملك رؤية أدبية أو فكرية هدفها الصلاح والإصلاح لا يصح أن ينتمي إلى عالم الإبداع أو الفكر الجاد الواعي .

وأستاذنا الأديب الكبير / عباس محمود العقاد كان صاحب رؤية فكرية وأدبية إصلاحية تجلت في العديد من كتاباته التي أثرت الفكر العربي بوجه عام والثقافة المصرية بوجه خاص .

لقد تصدى العقاد في مقالين مهمين نشرا على صفحات صحيفة الجهاد في 9 و 12 من نوفمبر سنة 1934 ، للكشف عن ألاعيب حياتنا الفكرية والأدبية في تلك الفترة الزمنية من تاريخ بلادنا ، ومدى تأثير الكيد السياسي في حياتنا الفكرية ، وقد قصد عمدًا إلى تسجيل الحقائق التي يجب أن يعرفها،ويطلع عليها مؤرخ الأدب المنصف أو المثقف الواعي المستنير .

يرى العقاد أنه من حق تاريخ الأدب أن يقوم بكشف الدسائس الخفية التي أحاطت بحياتنا الأدبية في تلك الفترة التي كتب فيها هذين المقالين ، لأن كشفها ضروري لتصحيح الحكم على كثير من الحركات المريبة التي ظهرت في خلال هذه السنوات ظهورًا غريبًا مفاجئًا لا يسهل تعليله لغير الوقوف على دخيلة البواعث التي دعت إليه ، فإن هذه الحركات لم تكن دليلًا على إتجاه في الأفكار أو تطور في الأذواق ، إنما هي الأحابيل منصوبة للقبض على ناصية الفكر العربي ، واقتياده إلى خدمة الأغراض المرسومة .

وأخذ العقاد يعدد الأساليب التي استخدمها الإبراشي باشا كبير سماسرة السياسة والمصالح في تاريخ القصور الملكية بمصر ، فالإبراشي باشا أثمرت ألاعيبه أكثر وأكثر ، في ظل رجل من كبار أعداء الحرية في تاريخنا ، ويقصد بذلك إسماعيل باشا صدقي ، صدقي الذي نكب الأمة في دستورها فقتله ومثل به أبشع تمثيل ، صدقي الذي سلط زبانيته على الأحرار والمنادين بالحق والحرية يبيتون لهم المكائد ، ولا يقابلون جموعهم كلما اجتمعوا إلا بالعصي الغلاظ ، وأطراف الأسنة ورصاص البنادق ، صدقي الذي أعاد جباية الأموال إلى عهد الوحشية الأولى ، فأصبحت الضرائب لا تطلب إلا بألسنة السياط والكرابيج .

صدقي الذي عرف المصريون في عهده كيف يكون الدرك الأسفل من معاملة الحاكم للمحكوم ، وكيف تمرغ وجوههم وجباههم في الأرواث والأوحال ، وكيف يضطرون إلى التسمي والتنادي بأسماء النساء ، إمعانًا في التمثيل والإذلال .

لقد شدد العقاد ومحمد توفيق دياب صاحب صحيفة الجهاد النكير في هجماتهما على صدقي باشا مما يعد بحق من مفاخر شجاعتهما ، وقوتهما ، وقد سجن محمد توفيق دياب بسبب هذه المعارك ، وضيق على العقاد حيث عانى الرجل الأمرين .

ومن أقوى المقالات التي كتبها العقاد هذا المقال الذي نشر في جريدة الجهاد يوم 28 فبراير 1922 ، وفيه شن هجومًا لا هوادة فيه على صدقي ورجاله ، وسخر من حلمي عيسى باشا وزير المعارف على عهد صدقي ، لأنه صادر الحرية السياسية للطلاب .

وأذكر لك مثالًا آخر ، مقالة العقاد التي نشرتها صحيفة الجهاد في 16 فبراير 1933 ، بعنوان (لماذا تبقى الوزارة الصدقية وقد حقت عليها كلمة الزوال ؟ !) .



ومثال ثالث : مقالة العقاد والمؤرخة في 23 مايو 1934 ، والتي سخر فيها من لجوء صدقي إلى الصحافة والرأي العام ، وهو العدو الأول لهما ، وذلك أثناء وجود صدقي خارج الوزارة ، وقد أوجعه العقاد .

يؤكد العقاد على أنه لا غرابة في بلادنا في ظل هذه القبضة الحديدية ، قبضة صدقي والإبراشي وغيرهما أن تجد الحيل والإغراءات التي اخترعها الإبراشي رئيس الخاصة الملكية طريقها إلى إفساد الحياة الأدبية والفكرية بعد أن فسدت الحياة السياسية والإجتماعية .

أستاذنا العقاد أخذ يعدد لنا الأساليب التي استخدمها الإبراشي باشا في هذا السبيل ، ويصفه لنا بأنه وسع من شباكه لتشمل رجال الفكر العربي والغربي على السواء ، لأن الإبراشي يعرف مقدمًا أن الهيمنة الفكرية على مصر وحدها لا تكفي لتسخير الأدب العربي كله حيث يريد ، لأن من الأدباء المصريين من تنشر كتاباتهم وكتبهم وتمتد شهرتها وشهرتهم إلى حيث الكتابة الأوربية في أوربا بين رجال الإستشراق والمؤرخين المهتمين بدراسة الآداب الشرقية عامه (وكان منهم بالطبع الأستاذ العقاد) .

لابد إذن من توسيع الشباك ، وإبعاد المرمى ، لتشمل هؤلاء عن طريق إغرائهم بإلقاء الدروس والمحاضرات مع البذخ في العطاء والتفنن في إمتاعهم بالرحلات ، والغارم الوحيد هو بالطبع الخزانة المصرية .

ويقول العقاد : إنهم من أجل ذلك فكروا في إنشاء المجمع العربي ، ليستغلوا طمع الطامعين ، ويملكوهم بالآمال التي يسيل لها اللعاب ، قبل أن يملكوا بعضهم بالمرتبات والمكافآت ، بل افتنوا في إنشاء الوظائف الأدبية ، واستكتاب المصنفات العلمية ليدخلوا في روع المؤلفين الأوربيين أن بلادنا بابًا مفتوحًا للمغانم والأرباح ، يدخله من يتبرع مشكورًا بالخدمة ، ويتزلف إليهم بالتأييد من الأنصار وخذلان الخصوم .

يضيف العقاد : أنه قد وصل الأمر بهؤلاء السماسرة في حقل الأدب والفكر ، أنهم عندما احتفلوا بمضي الأربعين على وفاة أحمد شوقي ،

وهو متوفى بعد حافظ إبراهيم بنحو ثلاثة أشهر ، أن أرسلوا المساعي إلى البلاد العربية ، واشترطوا على المدعوين أن يقصروا القول على رثاء شوقي فقط ، دون أدنى ذكر لحافظ إبراهيم ، لأن حافظًا شاعر الشعب لم يكن من المرضي عنهم .

كيف يكرمون حافظًا وقد وبخهم توبيخًا في الكثير من قصائده السياسية ، أقول لك : لقد ذكر الأستاذ / عبد الرحمن الرافعي المؤرخ الكبير لحافظ إبراهيم جملة من أشعار الوطنية في مقاومة الاستعمار البريطاني ، والسياسة الغاشمة على عهد صدقي باشا ، وذلك في كتابه (في أعقاب الثورة المصرية) ، وأطلب منك أيضًا أن تراجع ديوان حافظ إبراهيم ، بتحقيق وتقديم الدكتور / أحمد أمين ، والصادر عن دار الكتب المصرية لتعم الفائدة في هذا الأمر .

أعود بك لنجد العقاد يقول لنا : لقد ذهب بهم الأمر في إحكام خطتهم إلى إغراء بعض الصحف العربية في : سوريا ، والعراق ، وفلسطين ، لتسخير كتابهم على النحو الذي يريدونه من المحاباة والإجحاف ، وأن في كل قطر عربي لأناس من المشتغلين بصناعة القلم ، يرجون الخير ويطمعون في النوال ، وليس بخفي عليهم سبيل الوصول والظفر بالوعد المأمول ، فماذا عليهم إن هانت ضمائرهم أن يتوسلوا بالوسيلة ، ويلتمسوا وجه الحيلة ؟! ، كل ما هنالك أن يفرطوا في مدح المحبوبين ، وذم المكروهين ، وكان الله يحب المحسنين .

ويوضح العقاد الخطة الجهنمية لمحاربة أصحاب الضمير من الكتاب المحترمين ، فيقول : وكانت الخطة فيما يتصل بالأباة من الكتاب ذوي الضمير الحي ، والشأن الرفيع ، كانت الخطة منهم التشهير والنفير ، واختلاق الجماعات التي تتزيا بألوان من الأزياء ، وتتسمى بأشتات من الأسماء ، ومقصدها كلها الغض من أولئك الأدباء الأباة ، ويذكر لنا العقاد أن الجزء الأوفى من هذه الحملات كان موجهًا إلى عميد الأدب العربي الدكتور / طه حسين .

ويكشف العقاد عن أسماء المستفيدين من هذه السمسرة الأدبية الفاسدة ، ويؤكد على أنه ما كان بوده ألا يهبط بقلمه إلى ذكر الأسماء والأمثلة ، وليكن ذكرها قسطًا جديدًا من أقساط الأذى العميم الذي يصيبنا في أنفسنا وأبداننا وأعراضنا من جراء خدمة الثقافة والتصدي للمبطلين .

ونستطرد هنا فنقول : إن الباحث يكن كل التقدير والإعزاز والإجلال لكل من ذكرهم الأستاذ العقاد ، فقد تعلمنا منهم الكثير والكثير ، والعهدة على الأستاذ العقاد فيما كتب ، وفيما عرض من وجهة نظره الخاصة ، لاعنين السياسة وأحابيلها في كل وقت وفي كل آن .

يذهب العقاد إلى أن : الرافعي (الأستاذ / مصطفى صادق الرافعي) ألف كتابًا في التشهير بالدكتور طه حسين ، وألف كتابًا أسماه (على السفود) الذي أصدره الأستاذ / إسماعيل مظهر ، صاحب دار العصور سنة 1930 ، حيث أفعم الرافعي بالطعن الشديد الفاحش فيه على العقاد .

ويقال : إن الرافعي سرق من بعض كتب العقاد ، ورغم ذلك أنكر عليه وعلى ما يكتب ، وهذا بالطبع يحتاج إلى إثبات وتدقيق وتحقيق وأدلة وبراهين ، فنحن ضد أخذ الأمور على عواهنها وضد أي اتهامات مرسلة .

ويقول العقاد : إن الرافعي يتحدث عن الجهاد النبيل ، سلوه وسلوا تاريخه في أي شيء كان هذا الجهاد النبيل ؟! ، سلوه عمن تعلم من أبنائه على نفقة الخاصة الملكية التي يديرها الإبراشي باشا (يقصد الدكتور / محمد الرافعي بن الأستاذ / الرافعي) ، وعندما طبع من كتبه على نفقة الخاصة الملكية التي يديرها الإبراشي باشا (يقصد كتاب : إعجاز القرآن ، للرافعي ، والذي طبع على نفقة الملك في طبعة ملكية فخمة .) .

ويذكر الأستاذ / إسماعيل مظهر صاحب دار ومجلة (العصور) الذي قام بطبع ونشر كتاب (على السفود) للرافعي ، ولم يدخر من وسعه شيئًا في التشهير بالعقاد ، والافتراء عليه ، وانتحال المزاعم الخاوية التي

يسندها إليه ، ولم يمر على آخر مقالة كتبها في ذم العقاد شهر واحد ، أو نحو ذلك حتى حصل على وظيفة مرموقة في المجمع العربي .

ويذكر الدكتور / محمد غلاب ، فيقول : إنه استحق مقام التدريس في الجامعة الأزهرية لأنه قام بطبع وريقة في القاهرة ، يسميها (النهضة الفكرية) ، ويملؤها بالغباء ، والبذاءة في انتقاص الدكتور / طه حسين والأستاذ / العقاد .

ويتكلم عن الشيخ / زكي مبارك (الدكاترة / زكي مبارك) الذي رجع إلى الجامعة المصرية بعد فصله منها زهاء خمس سنوات ، لأنهم استخدموه في احتفال يقابلون به احتفال مصر بالنشيد القومي الذي نظمه الأستاذ / العقاد في أوائل عام 1934 ، وأذكر هنا : أن الدكتور / زكي مبارك كتب في عدد صحيفة الجهاد الصادر في 19 نوفمبر 1934 ، مقالة يدافع فيها عن نفسه ، ولكن العقاد لم يعفه من نفس الملاحظة .

ويرى العقاد أن من أسباب عودة الدكتور / زكي مبارك إلى الجامعة أنهم رضوا عما كتب في غمز الدكتور / طه حسين ، وغمز الأستاذ / العقاد ، من كلام معيب في بعض كتبه وبعض مقالاته .

ويذكر الدكتور / أحمد زكي أبو شادي ، ويصفه بأنه (طبيب متشاعر) ، وأذكرك أن أبا شادي هو مؤسس جماعة أبوللو الشعرية الرومانسية ، سنة 1931 ، حيث جعل أمير الشعراء / أحمد شوقي رئيسًا شرفيًا لها ، وشاعر القطرين / خليل مطران أبًا روحيًا لها ، وأصدر مجلة (أبوللو) الأدبية التي إستمرت قرابة عامين ، حيث عبرت عن فكر هذه الجماعة ، التي كان سكرتيرها الشاعر الرومانسي الكبير الدكتور / إبراهيم ناجي ، وقد ضمت بين أعضائها مجموعة من شعراء الوطن العربي المتميزين ، نذكر منهم الشاعر التونسي / أبو القاسم الشابي ، والشاعر السوداني / التيجاني يوسف بشير .. وغيرهم .. وغيرهم .

يقول العقاد إنهم سمحوا لأبي شادي بإصدار خمس مجلات في وقت واحد ، وهو يعمل موظفًا بإحدى المصالح الحكومية ، فجعل القسم الأدبي من مجلاته كلها وقفًا على التشهير بالعقاد ، وأدب العقاد ، وأخلاق العقاد .

ويذكر الدكتور / رمزي مفتاح ، صاحب كتاب : (رسائل النقد) ، يصفه بأنه من هذا الصنف ، وأن كتابه كاملًا جاء على ذلك النمط من الفجور والإبتذال .

ونبه العقاد إلى طوائف أخرى من صغار الموظفين الذين يوفدون في أعمال السمسرة الأدبية إلى البلاد العربية ، وكذلك سماسرة النوادي والمقاهي ، الذين نيطت بهم مهام التزوير والتلفيق والإفتراء على رجال الفكر والأدب الأباة المترفعين ، الذين يصفهم العقاد ـ وهو واحد منهم ـ بأنهم لا يبالون بهذه النوعيات ، على الرغم من كل كاشح مأفون ، فالأدباء الأباة صنعوا للأدب وللوطن وللناس ما يضيق به الثناء ، ويقصر عنه الجزاء .

ويرى العقاد أن المسئول عن هذه المخزيات المخجلات هو الإبراشي باشا في مقدمة أذنابه وأعوانه بلا شك ، وليس ذلك لأنهم دبروا كل عمل من هذه الأعمال أو أشاروا بكل حملة من هذه الحملات ، بل لأنهم خلقوا الجو الذي يسول للنفوس الوضيعة أن تبتغي النفع وتطمع في الزلفى من هذه السراديب المظلمة .

وما إن بدأ الأستاذ الكتابة في هذا الموضوع ، حتى انهالت عليه رسائل القراء من كل مكان تكشف له عن حوادث بعينها ، وأسماء بعينها ، من هؤلاء السماسرة وأتباعهم .

وبين كيف أن الإذاعة التي كانت تعد في تلك الآونة أهم وسيلة إعلامية بعد الصحافة ، كيف أنها استغلت كوسيلة للسمسرة والإغراء ، فهي مفتوحة للمنافقين وحدهم ، مغلقة ضد الأباة إلا من رحم مثل الشيخ / عبد العزيز جاويش ، كما أشار العقاد في هذه المقالات التي نشرتها صحيفة الجهاد ، وفي تعقيبه عليها فيما بعد .

العقاد يوضح لنا مستوى الإضطهاد والمطاردة التي لحق بالناس في تلك الأيام إلى حد أنه اتفق مع زملائه من المجاهدين ، على عدم البدء بإلقاء السلام على أحد ممن يعرفونهم ، لأن مجرد فعل ذلك يعرض الآخرين للأذى العميم في وظائفهم وأرزاقهم .

ويحكي لنا أن الأمر بلغ ذروته عندما جاء الأستاذ / محمد كرد علي ، العالم الجليل ورئيس المجمع العربي بدمشق السورية ، جاء في زيارة إلى مصر ، وذهب إلى جريدة الجهاد ليزور أصدقاءه زيارة ودية ، يومها حملوا على الرجل حملة شعواء باسم الدين ، وحققوا معه أيضًا باسم الدين ، وادعوا عليه الأباطيل ، والرجل معروف عنه أنه أوقف حياته كلها على خدمة اللغة العربية والإسلام .

وادعى الطغاة السماسرة أنه قال في محاضراته قولاً لا يحسن بالعرب والإسلام ؟! ، وفي الواقع أن كل الجريمة أو المصيبة التي استحق من أجلها الاضطهاد والتحقيق ، وأوشك بسببها أن يفقد كرسيه في مجمع الخالدين ، أنه زار جريدة الجهاد زيارة صديق لا زيارة محارب أو مشترك في الخصومة .

أيها القارئ العزيز : لقد حرصت في هذه السطور أن أسجل لك أبرز عناصر هذه الأخبار التاريخية الأدبية والفكرية التي قدمها أستاذنا العقاد ، عبر مقالاته أو كتبه ، لأنها تلقي الضوء على مدى طغيان السياسة ـ لعنها الله في كل كتاب ـ وتأثيرها في الحياة الأدبية والفكرية تأثيرًا سيئًا ، وأرى أن لهذه الأخبار أهميتها القصوى كوسيلة بحث يمكن الإستئناس بها لمن أراد أن يعرف طبيعة تأثير السياسة في الحياة الأدبية والفكرية والأخلاقية في أعقاب الثورة المصرية سنة 1919 ، وأمر آخر نأمله ألا وهو أن نتعلم من دروس التاريخ لنتجنب أي سلبيات قد نقع فيها في حاضرنا المعاش .

أقول : بالطبع لا يذهب كلامي في هذه الأخبار أو عندها باعتبارها القول الفصل في هذه القضية ، ولكنها علامة قوية وبارزة على الطريق ،

وهـي مـن العقـاد و العقـاد رجـل نسـيج وحـده ، رجـل مـن الرجـال الـذي لا يستهان بقولهم أو بفكرهم ، وإذا كـان العقاد قد كتـب كلامـه هذا تحت تـأثير الخصومة فإنها خصومة لا يبعد فيها معرفة الحق من الباطل ، خاصة ونحن نعلم أن المعارك التاريخية من خلال دراسة الخصومات والمعارك الفكريـة ، تكاد تؤيد تفصيلاتها .

وإذا كـان الأسـتاذ قـد هـاجم رجـالًا نعتـز بهـم ونحـبهم ونحتـرمهم ونقـدرهم لمـا قـاموا بـه مـن دور أدبـي وفكـري فـي نهضـتنا الثقافيـة ، مثـل الأسـتاذ / مصـطفى صـادق الرافعـي زعـيم المحـافظين فـي نثرنـا العربـي ، والأسـتاذ / إسـماعيل مظهـر الكاتـب الصـحفي والباحـث الناقـد المسـتنير ، والأستاذ الدكتور / محمد غلاب الباحث والناقد ، والـدكاترة / زكـي مبـارك ، والدكتور العالم الشـاعر / أحمد زكـي أبـو شـادي ، والـدكتور الناقـد / رمـزي مفتاح ، أقول لك : إذا كـان العقـاد قد هـاجم هؤلاء بميـولهم السياسـية المؤيـدة للطغيان والإستبداد والسمسرة الأدبية ، فهذه وجهة نظر أستاذنا / العقاد نفسـه ، وهي خاصة به ، وهـو نفسـه شـنت عليـه أبشـع الهجمـات وأضـراها كمفكـر وأديـب بسـبب مذهبـه السياسـي ، فـذهب خصـومه إلـى أنـه إنمـا نـال شـهرته الأدبية ، لأنه كان كاتب حزب الوفد الأول .

الرافعي يذهب إلـى أن العقـاد كاتـب سياسـي لا يسـتغني الوفد عنـه ، وهذه هي أهميته ، وهذا هو سبب شـهرته ، ويعتقد الرافعـي أن العقـاد كاتـب مأجور للسباب والمغالطة والنضح بما فيه !!! ، ويدعي الرافعـي أن ذلـك هـو أصل شهرة العقاد ، وأنـه كاتـب حـوادث للبلد ، وينضـح عـن الوفد الـذي بلـغ من تمكنه في الأمة أن قيل فيه : لو رشح الوفد حجرًا لانتخبناه .!!! .

ويواصـل الرافعـي كلامـه فيقـول : إن فـي بلادنـا هـذه قـد يبلـغ رجـل عنـد قومـه درجـة مـن النبـوة قرينـه ألا يـوحى إليـه بـوحي ، ولكـن بعمامـة خضراء أو حمراء ، وعمامة العقاد هي مقالاته السياسية ولا ريب .!!!

أستاذنا الرافعي قال هذا الهجـاء الفـاحش من خـلال وريقاتـه المليئـة بالفحش والبذاءات والشتائم في شخص العقاد ، والتـي أسـماها (علـى السـفود) ، وقد أشار تلميذ الرافعي الأستاذ / محمد سـعيد العريـان إلـى هذا الكـلام فـي

دراسته المهمة عن حياة الرافعي ، والتي صدرت طبعتها الأولى عام 1939 ، ويمكن للقارئ الكريم أن يعود إليها إذا أراد الإستزادة في تلك المسألة .

وتهمة الرافعي على بطلانها وسخفها لم تفارق راهب الفكر / عباس محمود العقاد في حياته وبعد مماته ، وإن كانت مجلة (العصور) التي يرأس تحريرها الأستاذ / إسماعيل مظهر ، قد رددت هذا الإتهام في العشرينات من القرن العشرين إبان حملتها الرافعية ضد العقاد ، كما أن مجلة (أبوللو) التي يرأس تحريرها الدكتور / أحمد زكي أبو شادي قد رددت نفس الإتهام للعقاد في الثلاثينيات من القرن العشرين أيضًا .

وقد كتب الأستاذ / محمود الخولي مقالة مطولة نشرتها مجلة (أبوللو) في عددها الصادر في شهر مايو سنة 1933 ، ونجد فيها الخولي يصرخ بأعلى صوته من قسوة العقاد في الرد عليه وعلى غيره من ناقديه ، إلا أن العقاد عند الخولي يستدر عطف القراء عليه كشاعر يتمسح في أعتاب الوفد ، و يرى الخولي أنه لا علاقة مطلقًا بين نقده كأديب وبين مذهبه السياسي إذا كان له مذهب !!! ، ويقول الخولي : أنه قرر ذلك وغيره من الحقائق المعروفة ، فماذا يستدعي أن ينفيه العقاد ؟!!

وهكذا أيها السادة تلاحمت السياسة والأدب بالتأثير والتأثر ، وعكست الحياة الأدبية في هذه الفترة المهمة من تاريخنا طبيعة الصراع بكل أبعاده في الحياة المصرية .

وعندما كنت أراجع أعداد مجلة (أبوللو) متأملًا من خلالها تاريخنا الأدبي ، رأيت أن المجلة قد حملت لواء معارك التجديد في بداية الثلاثينيات ، ولكن بكل أسف سقطت هي وجماعتها الأدبية صريعة العراك السياسي الذي تسلل في شرسة إلى الأدب .

مما لا شك فيه أن المعارك الفكرية والأدبية كانت وثيقة الصلة في كثير من جوانبها بالتيارات السياسية والنزعات والأهواء الحزبية

والشخصية ، التي ترددت فيها البلاد بعد نجاح الأعداء في تصفية الأهداف الكبرى لثورة 1919 .

والحق يقال : إن ذلك لا يمنعنا من الإعتزاز الكامل بالحرية الفكرية التي تمسك بها كبار الأدباء وأهل الرأي والفكر ، وعلى رأسهم العقاد ، وقد كان للحرية الفكرية ، وحرية الكلمة أثرهما البعيد في النهوض بالمستوى الفكري والثقافي للأمة ، وفي تبصيرها بأهم مشكلاتها وقضاياها الكبرى القريبة والبعيدة إلى الحد الذي رأينا معه إسماعيل صدقي باشا الذي كان يمثل الإستبداد والطغيان ينال أقوى وأعدل الجزاء على أسنة الأقلام الحرة المحترمة غير المأجورة وغير العميلة وغير الباحثة عن مصالحها الخاصة حتى لو خربت البلاد وضاع العباد في ألف داهية ، وأهم مثال على ذلك المقالات النارية التي كتبها أستاذنا العقاد وأشرنا إلى طرف منها في سطورنا السابقة .

(11)

الإقتحام

أخرج الشاعر الرقيق المهذب / عبد الرحمن شكري ، الجزء الأول من ديوانه الشعري المسمى (ضوء القمر) ، سنة 1909 ، وكان شكري مازال طالبًا في السنة الأولى بمدرسة المعلمين العليا ، في نفس الوقت كانت كلمات العقاد على صفحات جريدة (الدستور) تحاول أن تشق طريقًا جديدًا .

كلمات العقاد كانت تشق طريقها في طرائق التفكير الذاتي الذي يعبر عن صاحبه بحرية وصدق وتطلع ، لتبشر بمولد الناقد الفيلسوف العملاق ، وبمجرد أن تراجع هذه المقالات الآن ، ثم تضيفها إلى عصرها ، وإلى شاب في مقتبل عمره ، هو أستاذ نفسه ، ضرب من الإستحالة لدى البدائة العامة والخاصة ، لأنها تدل بعد تجاوز الجوانب الذاتية الأصيلة على مدى ما أصاب صاحبها من الإحاطة والفهم للثقافات القديمة والمعاصرة .

ويكفي في هذا الصدد أن تراجع معي على سبيل المثال مناقشة العقاد مع الأستاذ العلامة الموسوعي / محمد فريد وجدي ، في مسألة أن انتظام العالم لا يصلح أن يتخذ دليلًا على حدوثه ، كما لا يصلح أن يتخذ اختلاله دليلًا على قدمه ، ويمكن لنا أن نراجع كتاب الأستاذ العقاد (خلاصة اليومية ، من ص 88 - 96) .

وفي الجانب الأدبي منها يمكن الإحالة على مواضيع شتى تبرهن بالبرهان الساطع على أن مولد الناقد العملاق قد وافى حياتنا الأدبية ، إفتح معي كتاب (خلاصة اليومية) السابق الإشارة إليه ، وراجع معي الصفحات : 15 ، 20 ، 45 ، 69 ، 137 ، 139 ، 141 ، 145 ، 146 ، 165 ، 171 ... إلخ ..

ومن ذلك هجومه على الإتجاه السائد في الشعر ، حيث ينقد على صفحات جريدة الدستور سنة 1909 ، قصيدة حافظ إبراهيم التي مطلعها :

لقد نصل الدجى فمتى تنام   أهم ذاد نومك أم هيام ؟

نقدها العقاد بقوله : إنه أخذ قطعة من الحرير ، وقطعة من المخمل ، وقطعة من الكتان ، وكل منهما صالح لصنع كساء فاخر من نسجه ولونه ، ولكنها إذا جمعت على كساء واحد فتلك هي مرقعة الدراويش !! (العقاد ، أفيون الشعوب ، ص 139) ، وقصيدة حافظ من ديوانه ، وهي تعد من روائع شاعر النيل / حافظ إبراهيم في الشعر السياسي الوطني .

العقاد يدعو هنا دعوة باكرة إلى فكرة الوحدة العضوية ، على نحو يدل على تمكنها من فكره النقدي في هذه السن الصغيرة ، ولكن الجهود الكبرى للعقاد ظهرت ابتداء من سنة 1913 عندما كتب مقدمة الديوان الثاني لعبد الرحمن شكري ، ثم أعقبها بمقدمة لديوان الأديب الساخر الفيلسوف / إبراهيم عبد القادر المازني في نهاية العام نفسه ، ثم بدواوينه الشعرية ومقدماتها المهمة ، ثم بكتاباته النقدية التي اتسعت وانتشرت بحيث يصعب على الباحث حصرها في هذا المقام .

لقد تفرد الأستاذ العقاد بين صاحبيه (شكري والمازني) بالثبات على الطريق ، والصمود من أجل تدعيم الإتجاه الأدبي الجديد ، والنهوض به ونشره ، وظل يكتب ويخوض معارك الفكر والأدب والحياة قبل وفاته في شهر مارس سنة 1964 بأسبوع واحد فقط ، بينما صمت الشاعر / عبد الرحمن شكري بعد الخلاف الذي دب بينهم .

الحق يقال أن الشاعر المبدع الكبير / عبد الرحمن شكري ، المولود سنة 1886 ، والمتوفى سنة 1958 ، هو أحد رواد التجديد في الشعر العربي المعاصر ، وأحد كبار المثقفين العرب في العصر الحديث ، لقد كان شكري ممن تعمقوا بجدية في الثقافة الإنجليزية والثقافة العربية ، بدراسة واعية فاهمة ، وهو ينتسب إلى ما يمكن أن نسميه هنا باسم (المدرسة الفكرية) وهي المدرسة التي تقيم شعرها على الأفكار ، ولا تغرق فنها في المشاعر والعواطف ، وكان من أعلام هذه المدرسة إلى جانب شكري ، العقاد والمازني .

أقول : إن شكري الشاعر المهذب الخجول ، هو رأس هذه المدرسة وعميدها الأول ، ومن الذين اعترفوا بذلك صراحة الأستاذ / إبراهيم عبد القادر المازني ، الذي قال بصراحته المعهودة : إن شكري هو الأستاذ الأول له ، وهو الذي فتح أمامه طريق الثقافة وطريق التجديد في الشعر العربي ، وقد قال المازني ذلك بنفسية صادقة راقية ، بعد أن كان قد هاجم شكري هجومًا عنيفًا ، وظلمه ظلمًا بينًا دون أن ينصفه ، وسماه (صنم الألاعيب) ، وعاد فاعتذر عن عدوانه على صديقه الشاعر الكبير ، ونص إعتذار المازني الجميل ، واعترافه بخطئه يمكن للقارئ الكريم أن يعود إليه في كتاب (رواد التجديد في الشعر المعاصر) ، للشاعر الأديب / مختار الوكيل.

كان شكري من أهل الانطواء على النفس ، لا يحب الصخب أو الأضواء ، وكان من أهل الشك العميق في جدوى الحياة ، مقرًا بأنه ليس لديه المقدرة الكاملة على التلاؤم مع الناس والأحوال الاجتماعية في عصره ، مما أدى به إلى الإستقالة من عمله بالتعليم سنة 1938 ، وبعدها لزم بيته معتزلاً الأدب والناس اعتزالًا كاملًا حتى انتقل إلى رحاب الله راضيًا مرضيًا سنة 1958 .

قرأت وسمعت أن شكري فعل ذلك عندما تعرض لصدمة صغيرة جرحته في كرامته وكبريائه ، ألا وهي أن وزارة المعارف العمومية (التربية والتعليم الآن) تخطته في ترقية كان يستحقها بعلمه وكفاءته وأقدميته ومكانته الأدبية الرفيعة ، ولم يكن شكري مما يلحون في طلب حقوقهم ، وهو لا يعرف الوقوف على الأبواب أو حمل المباخر لأهل الجاه والسلطان ، ولا يجيد عقد صلات إجتماعية واسعة تصون له هذه الحقوق ، ويفترض من الآخرين أن يعرفوا قدره ، وكانت النتيجة أن تعرض الشاعر المفكر طيب القلب للظلم الوظيفي ، وسبقه كالعادة من هم أقل منه جدارة وحقًا ، فاستقال من العمل ، واعتزل الحياة كلها .

قد يعتقد البعض أن اعتزال الرجل نوع من الإنتحار الأدبي والمعنوي ، فقد ظل شكري صامتًا لا يكتب ولا يتصل بالناس أو بأهل الأدب والفكر لمدة عشرين سنة على وجه التقريب ، صحيح أنه لم ينتحر

انتحارًا فعليًا مباشرًا ، ولكنه قتل نفسه قتلاً بطيئًا بالصمت والعزلة ، على حد تعبير الأستاذ / رجاء النقاش في مقالة ضافية تحت عنوان (شاعران في العباسية) تم نشره في صحيفة الأهرام القاهرية يوم : 16 أكتوبر سنة 1995 ، فليعد إليه من أراد الإستزادة .

أما الأديب الساخر / إبراهيم عبد القادر المازني فقد صمت هو الآخر عن الشعر ، وأعلن أنه طلق الشعر طلاقًا بائنًا لا عودة فيه ، وسبب ذلك أنه أراد أن يبعد عن الصراعات والمشاكل ، واكتفى بالصحافة وعالمها الرحب الفسيح ، وقد تناولت هذا الأديب الفيلسوف الذي أحببته حبًا جمًا منذ تعاطيت القراءة وأدمنت الأدب ، تناولته في عديد من المقالات ، أذكر منها : (أديب يفلسف الحياة) ، (ساخر يحمل هموم الدنيا فوق ظهره) ، (رجل يفرجنا على صندوق الدنيا) ، (تأملات في شعر المازني) ، وغيرها مما لا تسعفني الذاكرة بذكرها لك ، ولو كان في العمر بقية أتمنى أن أجمع هذه المقالات في كتاب ، في نفس الوقت الذي أتمنى إعداد دراسة عن الشاعر المفكر الذي ظلمناه حيًا وميتًا / عبد الرحمن شكري ، فمن يعيش ؟ ! .

نعود إلى العقاد لنجده تفرد وحده بين صاحبيه بالثبات على الطريق ، والصمود لتدعيم الإتجاه الجديد في الشعر والأدب ، بينما صمت شكري والمازني ، بقي العقاد وحده شاعرًا وناقدًا وأديبًا ، بقي هو الفارس الوحيد في الميدان .

إن الدارس لتاريخ الأدب العربي الحديث يلتقي مع العقاد لقاءات لا حصر لها ، ويرى رؤية العيان جهوده المنقطعة النظير في المعارك الأدبية والفكرية وتاريخها الحافل ، إلى الدرجة التي تمكننا من القول ـ دون أدنى مبالغة ـ أنه لو لم يكن العقاد بفقهه ، وفكره الفني ، ونتاجه النقدي والشعري ، وصلابته في الحق ، وعزمه الفولاذي الذي لا يلين ، وإصراره النابع من إيمانه بفكره وعقيدته ، لما كان في بلادنا حوار أو نقاش أدبي له مثل هذه القوة في عصرنا الحديث ، ولا كان له تلك الفاعلية ، ولا وجدنا على وجه الإطلاق ذلك البعد العميق الأصيل في تاريخنا الفكري الحديث والمعاصر .

(12)

الشعراء الندابون

بعد أن أنهى الأستاذ / إبراهيم عبد القادر المازني معركته ضد الشعر التقليدي ممثلاً في شاعر النيل / حافظ إبراهيم والتي بدأ مقالاتها من شهر يوليو 1913 ، على صفحات جريدة عكاظ ، واصل الأستاذ / العقاد حملته الشعواء على الشعراء التقليديين مؤكدًا بذلك هجمة المازني ومؤازرًا لها ، وأطلق عليهم اسم (الشعراء الندابون) ، كما نقرأ في صحيفة عكاظ في أعدادها الصادرة في 9 و 23 مارس ، وفي 6 أبريل سنة 1914 .

وخص العقاد (حافظ إبراهيم) بقسط وافر من النقد ، وكناه بأبي جهل ، ولم يصرح بإسمه ، واكتفى بإسم قصائده أو مناسباتها ، وكذلك بالصفات الواضحة الدلالة عليه ، بحيث يمكن عد هذه الحملة حملة من حملات العقاد على حافظ بصفة خاصة وعلى الشعر التقليدي بصفة عامة والذي كان يتزعمه في تلك الآونة أمير الشعراء / أحمد شوقي .

وقد عني العقاد في عنوان مقالاته هذه أولئك الشعراء الذين يقفون في تحفز لرثاء كل ميت من ذوي الوجاهة والمكانة ، كالنادبة التي ترى الندابة عملًا لها ، وتحرص عليه كل الحرص ، وتخلص له كل الإخلاص .

ويصف العقاد خلة الحرص فيهم ، فيقول : ما أبرع هؤلاء الشعراء والأقلام في أيديهم ، والمحابر أمامهم ، وهم جلوس على أهبة واستعداد كالتلاميذ في يوم إمتحان الإملاء .

ويصل بهم الحد إلى أنهم أدخلوا على الناس أن الشاعر والمغسل والحفار وقارئ السورة رصفاء يتعاقدون لئلا يسبق أحدهم صاحبه إلى المآتم والجنازات .

وقد دفع العقاد إلى هذه الحملة ما سمع منهم من شعراء الندابة في رثاء الشيخ الصحفي / علي يوسف ، صاحب جريدة المؤيد ، والطيار العثماني / فتحي بك وغيرهما ، ومن تم تجرد لهجمة ساخنة ضدهم .

لقد عاد هؤلاء إلى نظم الشعر وقرع المسامع بذلك الكلام القديم البالي ، والمعاني الأثرية ، وإن في عودتهم لآية على شعورهم بموتهم ، وعلى أنهم أصبحوا نسيًا منسيا ، فأرادوا أن يطلوا من وراء الكفن الذي أذبله عليهم الشعر العصري والأدب الحي .

ويسخر العقاد من حرصهم على الإرتباط بالمناسبات التي لا تمت إلى صدق مشاعرهم بشيء ، ويعجب من حافظ الذي لم يصرح بإسمه ، ودل عليه بقصيدته ، لأنه كان يعد قصيدة لاستقبال فتحي بك الطيار العثماني عند قدومه إلى القاهرة ، وجاء خبر نعيه من دمشق ، فأوقف القصيدة وتحول إلى أخرى للرثاء ، ثم عدل وعاد إلى الأولى فأكملها وحملها إلى الناس دون أن يوفق إلى تضمينها الأسف لفقد الطيار العثماني ، وأنه كان يرجو أن يستقبله بالتهنئة فأخلف القدر ظنه **!!** .

ومن ثم يمعن الأستاذ / العقاد في سخريته من هؤلاء الشعراء ، ويرى أنهم انحطوا بحرصهم وشعرهم إلى عادات وسجايا الفراشين في السرادقات ، ويقول عن حافظ في موقفه السابق الذي حرص فيه على قصيدة المدح الذي كان قد نظمها من قبل : إنه يشبه أن يكون فراشًا قد جهز سرادق العرس ، فبسط الطنافس ، ومد الخوان ، ونصب تخوت المغنيين ، وأوقد السرج والمشاعل حتى إذا لم يبق إلا الزفاف ، مات العريس ، فأبى الفراش إلا أن يمضي في زينته ضنًا بما أنفقه في سبيل الزفاف ، ولئلا تدركه الحسرة على فوات الفرص من نعيه ، ولم نسمع نحن أن فراشًا سقطت به رداءة الذوق ، ونضوب الحياء هذه السقطة ، ولكن سمعنا ذلك عن شاعر يقول الشعر منذ عشرين عامًا ، و اللهم رحمتك في بلد شعراؤه أردأ أذواقًا ، وأقل حياءً من فراشيه .

ويخاطب العقاد الشعراء الندابين قائلاً لهم : أيها الشعراء الندابون لكم شعركم وللعصر شعره ، فقروا في قبوركم ، وتزاملوا بأكفانكم حتى إذا أنهدم جدار ، أو اصطدم قطار ، أو وقع طيار ، هنالك يثوب الداعي بكم فانبعثوا وقولوا ما شئتم ، ولكن لا تفاجئونا ، يرحمكم الله ، ويطيب ثراكم .

ويثير العقاد في هذه المقالات قضية الوحدة العضوية في الشعر ، أو في الشعر العصري ، فينحي باللائمة والتقريع والسخرية على أولئك الشعراء المقلدين الذين يفهمون أن وصف المخترعات الحديثة هي العصرية ، ثم أخذ مقاييس العصرية في تناول المخترعات الحديثة ووصفها .

في الكتاب الصغير الحجم العظيم الخطر ، والأثر المسمى بـ : (بالديوان في النقد و الأدب) كانت قمة العراك الأدبي ، والشخصي بين المجددين والمحافظين من جهة ، ومن ثم بين المجددين أنفسهم من جهة أخرى .

كتاب (الديوان في النقد والأدب) مكتوب على النسخة التي معي تأليف / عباس محمود العقاد بالإشتراك مع إبراهيم عبد القادر المازني ، وهذه الطبعة صادرة عن دار الشعب المصرية بالقاهرة ، وغير مكتوب عليها تاريخ نشر ، هذا الكتاب جاء في موعده من تطور نهضتنا الأدبية أو الثورة الأدبية ، التي لم يكن من قبيل المصادفة مصاحبتها للثورة السياسية (نقصد ثورة 1919) ، فإن مصر كانت بحاجة إلى كل هذه الثورات ، وكما أن الثورة المصرية جاءت بعد أسبابها التي هيأت لها ، وجعلتها ضرورة لا محيص عنها ، كذلك جاء هذا الكتاب .

كتاب (الديوان) يعد أحد أدوار جهاد حركة التجديد وقد لخصها العقاد في مقدمة هذا الكتاب ، قلنا العقاد ولم نقل المازني ، لأنه يغلب عندنا أن مقدمة الجزء الأول من صناعة العقاد ، إذ تبدو عليها آثار أصابعه ، حيث يشهد بذلك أسلوبها وفكرتها فيما يخيل إلينا ، وفي الوقت نفسه فإن مقدمة الجزء الثاني يغلب عندنا أنها للمازني لنفس السبب .

العقاد يقول أن موضوع كتاب الديوان هو الأدب عامة ، ووجهته الإبانة عن المذهب الجديد في الشعر والنقد و الكتابة ، وقد سمع الناس كثيرًا عن هذا المذهب في بضع السنوات الأخيرة ، ورأوا بعض آثاره ، وتهيأت الأذهان الفتية المتهذبة لفهمه والتسليم بالعيوب التي تؤخذ على شعراء الجيل الماضي ، فنحن بهذا الكتاب ، نتمم عملًا مبدوءًا ، وأوجدوا ما نصف به عملنا ، أنه إقامة حد بين عهدين [الديوان : 1 / 1] .

يتضح لمن يقرأ أو يتعرف على هذا الكتاب أن هجمة الديوان على الشعر والشعراء ، كانت ذات بعدين :
أحدهما : إلى الشعر المحافظ أو التقليدي ممثلًا في أمير الشعراء / أحمد شوقي ، بينما يتجه البعد الآخر إلى رفيق الأمس رائد التجديد الشاعر الخلوق / عبد الرحمن شكري ، وسبحان الله مقلب القلوب !!

إن كتاب الديوان يعتبر بحق قمة الهجوم الأدبي من جبهة المجددين أو فلنقل العقاديين على المحافظين أو الشوقيين ، وقد اختار هذا الكتاب أقوى النماذج الأدبية في الإتجاه المحافظ ، وهو الشاعر الكبير / أحمد شوقي ، وحاولت الهجمة النقدية أن تلقي بهذا الشاعر العملاق إلى مهوى من الأرض سحيق في عنف بالغ .

وقد يسأل القارئ العزيز : ولماذا لم يكن الشاعر موضع النقد والهجوم في هذه المرة هو شاعر النيل أو الشعب / حافظ إبراهيم ، كما كان من قبل في عامي 1913 - 1914 ؟ ! .

والجواب عن ذلك يسير ، لأن شوقي الأمير ، دون سواه ، سيد الإتجاه المحافظ أو الكلاسيكي وأمير دولته ، وشوقي في هذه المرة أصبح خالصًا لنفسه وللنقاد ، فلم يعد في حماية الخديوي أو القصر الملكي كما كان من قبل ، لقد عاد الأمير من منفاه الإختياري في أسبانيا أواخر عام 1919 ، بعد أن كان قد نفي في 5 أغسطس سنة 1915 . [ماهر حسن فهمي ، أحمد شوقي ، ص 99 و ص 115] .

عاد الأمير من المنفى ولم تعد أقفاص الذهب تغل حركته ، وتدفع الأيدي عنه ، وفي هذا الوضع الجديد سبب مشجع ومقنع لأن يتوجه النقد إليه .

ولكن هناك أسبابًا أخرى يمكن أن تتعاون مع السبب السالف الذكر ، وترجع في جملتها أن النقاد المجددين أو العقاديين يرون أساليب شتى ، لا ترضيهم ولا تروق لهم ، تلعب دورها في إفساد الحياة الأدبية بوجه عام ، وهذه الأساليب تتجمع أهم خيوطها وأخطرها في يد أحمد شوقي وأتباعه ، نظرًا لمقدرته الشعرية الغالبة في هذا الإتجاه من ناحية ، ثم لمكانته الإجتماعية والمادية من ناحية أخرى ، ولقد أستطاع شوقي ـ كما يذكر العقاد ، في توطئة كتاب (الديوان) أن يشتري الأقلام والصحف ، وأن يوظف لها ولكتابها هبات محسوبة ومحبوسة عليهم [الديوان : 1 / 3] .

وهذا أمر يشهد به خلصاء شوقي الأمير ، إذ يقررون أنه على عظيم مكانته ورسوخ قدمه في فنه الشعري ، كان لا يستقر ولا يهدأ من التردد على دور الصحف لينال مدحها ، ويتقي نقدها ، وها هو رجل من أخلص خلصاء شوقي ، وهو الأستاذ / أحمد محفوظ في كتابه (حياة شوقي) ، يقول لنا : إن مائدة شوقي لا ترفع أطباقها أبدًا ، ولا يسبل (لا يطوى) غطاؤها ، وهي دائمًا محفوفة بالصحفيين وغيرهم ممن يخشى أقلامهم ويخاف نقدهم .

وكان الأستاذ / أحمد فؤاد صاحب مجلة (الصاعقة) تلك المجلة التي بدأت سنة 1897 ، وأغلقت سنة 1909 ، وكذلك الشيخ / فهيم صاحب جريدة (عكاظ) ، التي بدأت سنة 1913 ، و أغلقت سنة 1920 ، أبرز رجلين من عملاء شوقي (إن جاز التعبير العقادي) .

بسبب هذا الإفساد أراد العقاد أن يرد على الحياة الأدبية والفكرية في مصر كرامتها ، وأن يعطي لشوقي من جنس عمله بعد أن يعرف بدور الصحافة المأجورة ، يصرخ العقاد : واخجلةُ مصر ! من الذي يصنع ذلك فيها ؟ ! شعراؤها ، الشعراء في كل عصر عشاق المثل الأعلى ، وطلاب

الكمال الأسمى ، لا يرضون بما دونه غاية ، الغايات مطمحًا لإعجابهم ، وقبلة لتزكيتهم ...

ويضيف العقاد : إلا أنه والله لعار وشر من العار ، وقد استخف شوقي بجمهوره ، واستخف ، حتى لا مزيد ، ما كفاه أن يسخر الصحف سرًا لسوقه إليه ، واختلاب حواسه واختلاس ثقته ، حتى يسخرها جهرة ، ولئن لم يعرف شوقي مغبتها أدبًا زاجرًا ، وجزاء وفرًا ، يعلمه الفرق بين سوق البقر وسوم البشر ، ليكونن بلدنا هذا بلدًا يجوز فيه كل شيء ، ولا يؤنف فيه من شيء . [الديوان : 1 / 5] .

إذن فقد جد الجد لدى العقاد ، لأنه على قدر استفاضة الشهرة المدحوضة يكون نفع النقد ولزومه ، فإن أبلغ ما يكون العيب إذا كان فاشيًا ، وأضر ما يكون إذا كان متخذًا نموذجًا للإحسان ، وقياسًا للإتقان .

ولكن لماذا لم تسلك هذه الحملة النقدية الشعواء سبيل الإحتيال باللين والمداراة على القارئ ليقتنع ما دام الأمر برمته هو مجال الإصلاح الأدبي ، ومن منا يرفض الصلاح والإصلاح ؟ ! ، ولماذا فضلت أن تغلظ البلاغ للأمير ، وأن تصخ صخًا شديدًا ، على حد تعبير العقاد نفسه في بداية مقدمته للديوان في الجزء الأول منه ؟ .

إن القارئ لمقدمة كتاب (الديوان) ، والذي صدر الجزء الأول منه في أول شهر فبراير سنة 1921 ، وطبع طبعة ثانية في شهر أبريل من نفس العام ، التي كتبها العقاد نجد سببًا مهمًا قد أبرزه الأستاذ ، ألا وهو : أن عقيدة أدبية تلح على ضمير العقاد ، وقلبه وفكره ، إلحاح أصحاب المبادئ والدعوات الإصلاحية الكبرى ، التي يرخصون حياتهم والحياة من حولهم في سبيل عقيدتهم .

فإذا أضفت إلى هذه الحقيقة معرفتنا بالعقاد ، عرفنا أي هول وأي جهاد مرير صابر وقادر سوف يفعله هذا العملاق من أجل معتقده الفكري !! ، إن عباراته في مقدمة الديوان تدلنا على مكانة هذه العقيدة الأدبية في نفسه ، وعلى صفة صاحبها .

يؤكد العقاد على أنه من ذلك الفريق الذين إذا أذروا شيئًا لسبب يقنعهم ، لم يبالوا أن يطبقوا الملأ الأعلى والملأ الأسفل على إعلانه ومحاربته !! .

كلام آخر نقرأه معًا في مقدمة العقاد للديوان ، يكشف لنا عن قيمة عقيدة العقاد الأدبية وأهميتها ، حيث يقرر أننا إذا استطعنا أن نهدي الطبقة المتأدبة من أمة إلى القياس الصحيح في تقدير الشعر ، فقد هديناهم إلى القياس الصحيح في كل شيء ، ومنحناهم ما لا مزيد لمانح عليه ، فليس إصلاح نماذج الأدب بالأمر المحدود أو القاصر على القشور ، لكنه من أعم أنواع الإصلاح وأعمقها .

لعلك ترى معي أن العنف كان واضحًا في هدم العقبات المطروحة أمام القصيدة الجديدة أو فلنقل الأدب الجديد أو الفكر الجديد ، وهو في حد ذاته غاية ووسيلة ، العقاد يشير إلى ذلك فيقرر أن التاريخ قد مضى بسرعة لا تتبدل ، وقضى أن تحطم كل عقيدة أصنامًا عبدت قبلها ، وربما كان نقد ما ليس صحيحًا أوجب وأيسر من وضع القسطاس الصحيح وتعريفه في جميع حالاته ، فلهذا اختار العقاد أن يقدم تحطيم الأصنام الباقية على تفضيل المبادئ الحديثة ، هكذا قال أساتذتنا الذين عاصروا العقاد ودرسوه حق دراسة واستوعبوا فكره حق استيعاب .

سبب ثان يجيء بعد فكرة القصيدة الأدبية ، وأعتقد أنه سبب شخصي مهم وخطير ، لأنه أدى إلى تحولات غير سارة في جهود وصداقة الثالوث العظيم : العقاد ، وعبد القادر المازني ، وعبد الرحمن شكري ، ذلك أنه كان للاتجاه المحافظ أصبع قوية في تعميق هوة الخلاف بين شكري والمازني ، مستغلاً موقف شكري من سرقات المازني الأدبية ، وكان العقاد قد تمكن سنة 1917 ، من لم الشمل ، وجمع الكلمة ، ولكن دور المحافظين قد تمكن من الحيل الظاهرة و الباطنة من بعث الخلاف من جديد وتطويره ، فقد تحول الأخوة الأصدقاء إلى أخوة أعداء .

واشتعلت المعركة حين اضطر شكري المثقف الصريح الواضح ، والصابر المثابر ، والذي لا قبل له بالمؤامرات أو بالحيل أو بالألاعيب إلى ممالاة الإتجاه المحافظ في هجومه على المازني الصديق القديم ، ثم على العقاد أيضًا الزعيم العنيد ، لهذا كله هاجم العقاد بشدة وعنف الإتجاه المحافظ ممثلاً في شوقي الذي سحبت منه السجادة الفخمة التي كان يمشي عليها .

أقول لك : لقد راج كتاب الديوان رواجًا كبيرًا ، وبيعت منه آلاف مؤلفة من النسخ ، والعقاد يرد على رواج كتاب (الديوان) إلى ما يعرفه القراء من جملة الأسباب الشخصية التي تقف وراء ظهوره ، وقد قرر العقاد ذلك بصراحة شديدة على صفحات صحيفة (الرجاء) سنة 1922 ، وكانت هذه الصحيفة تقوم بنشر سلسلة من الرسائل تحت عنوان (رسائل العقاد) ، وذلك في رسالة كتبها العقاد إلى صديق له في عدد (الرجاء) الصادر في 25 مايو سنة 1922 .

يقول العقاد لصديقه : إنه لا يكتمه أنه ارتاب في علة رواج كتاب (الديوان) ، فيرى أن حب الأدب وحده لم يكن أقوى البواعث على لفت الأنظار إليه ، وهو يسأل صديقه : هل ترى الكتاب كان يحدث هذه الزوبعة التي أحدثها لو خلى من حملة معروفة الهدف ، شديدة الرماية ...؟! .

أستاذنا العقاد يقرر بنفسه أن هذا العمل أي كتاب (الديوان) طور طارئ دعته إليه الحاجة ، ولكن لا يمكن استمراره ، إذ لا يحتمل كاتب أن يقصر قلمه على مثل ذلك ، وإذا كان ذوق الجمهور لا يستقر بغير هذه الوسيلة فهل تفيد المجاراة فيه ؟ ، وإن أفادته فهل يحتمل كاتب أن يقصر قلمه على هذا النوع أو اللون من الكتابة ؟ !!! .

وتحت عنوان : (الشعر في مصر) كتب الأستاذ العقاد مجموعة من المقالات المهمة سنة 1927 ، على صفحات جريدة (البلاغ الأسبوعي) ، هذه الجريدة التي استمرت من سنة 1926 إلى سنة 1929 ، وفي هذه

السلسلة من المقالات تعرض لهذه الحملة التي شنها على أحمد شوقي من خلال الديوان ، وقد أوضح العقاد ما اعتمد عليه في فكرتين :

الفكرة الأولى : عقيدة العقاد الأدبية .
الفكرة الثانية : كيد شوقي وأتباعه في إفساد الحياة الأدبية :

يقدر العقاد أن الناس كانوا يوافقونهم في مجمل الرأي ، ويطلبون منهم أن يتخذوا للنقد لهجة غير التي اتخذوها ، ليدفعوا مظنة التحامل على شوقي ، والنظر إلى شخصه ، وكان العقاد يرد عليهم : بأن مثل شوقي في أحابيله التي ينصبها لترويج أمره والكيد لغيره ، لا يستحق منهم غير تلك اللهجة التي قاسوا عليها قياسًا يلائمه كل الملائمة ، و يطابقه أعدل مطابقة .

والعقاد يؤكد أنه يعرف كيف يختار طريقته في النقد الأدبي ، وكيف يضع أقواله بوضعها في الكلام ، فظهر له أن قراءه الآن لا يخلون من فئة قيمة تعرف ذلك أيضًا ، وتعرف الفرق بين لهجة التحامل ولهجة التأديب ، وإنه كان على صواب حين رفض أن يفسر خطئه في النقد أنفة أن يعد ذلك استجداء لإقناع المتثاقلين باقتناعهم ، أو تلمسًا لرضا الذين لا يرضيهم إنحاؤه على ما هو به حقيق .

وفي كتابه (ساعات بين الكتب) ، أمامي طبعة 1929 ، والطبعة البيروتية سنة 1969 ، يقرر العقاد : إن الناقد يجوز له من الصرامة أحيانًا ما يجوز للقاضي ، وأن الحق يحق له أن يخشن في موضع الخشونة ، ويلين في موضع اللين ، وأن إحساس العدل هو الذي سوغ للعقاد أن يقرر الحقائق ويبسط الآراء بلهجة توائم الرجل الذي قيضته المناسبة لتقرير تلك الحقائق ، وبسط تلك الآراء .

أقول لك : بعد هجمة (الديوان) الذي ظهر الجزء الأول منه في طبعته الأولى في شهر يناير سنة 1921 ، وأعيد طبعه في شهر أبريل من نفس العام ، وظهر الجزء الثاني في شهر فبراير سنة 1921 ، ويبدو أن نفس الجزء أعيد طبعه هو الآخر في شهر أبريل من نفس العام .

بدا العقاد بعد هذه الهجمة الديوانية قوة مرهوبة الجانب ، قادرة على الثبات بل الهجوم الساحق الماحق ، وقد أثار عليه هذا الكتاب جبهات وأقلامًا ، وأدى هذا الكتاب وحده إلى مجموعة مهمة من ردود الأفعال المضادة ، نجم عنها مواقف من الصراع الحاد الظاهر تارة والمستور تارة أخرى ، بين شوقي الأمير وأنصاره من جهة ، والعقاد وأنصاره من جهة أخرى .

ومهما يكن موقف النقد الأدبي والصحافة الأدبية بعد ظهور الديوان ، مهما يكن من هجوم حاد على الديوان وتعنيف في بعض الأحيان دون فكر نقدي ، أو لهجة سباب تمثلها الصحافة المأجورة لصالح أو لحساب شوقي وأتباعه ومريديه ، أو تأييد كامل ومطلق للديوان في عنفه وفكره وإنكار لعنف النقد بل في دعواه أنه جديد من الأساس ، مهما يكن من أمور فقد كان العقاد كما قرر لنا من قبل في مقدمة الجزء الأول من كتاب الديوان قد عقد العزم تمامًا على أن يصخ الإتجاه القديم أو العتيق في فهم الشعر ، وقد قرر أن يصخه صخًا عنيفًا ، مغلظًا له البلاغ .

أنت تعلم معي أن العقاد إتخذ أحمد شوقي أمير الشعراء الرمز و الأنموذج لهذا الاتجاه الذي يحاربه ، بإعتباره زعيمه الحق ، والعقاد الثابت على المبدأ دائمًا وأبدًا أكدت الحوادث والأخبار أن الرجل لم يتخل أبدًا عن عزمه الذي عقده ، فقد ظل الأستاذ يتابع المناهضة لشعر شوقي في الشعر الغنائي ولأسلوبه الشخصي الذي تجلى في محاولاته للسيطرة على زمام الحياة الأدبية ، ولم يرفع العقاد قلمه عن شاعر العروبة / أحمد شوقي حتى انتقل إلى جوار به راضيًا مرضيًا .

معي الآن صحيفة (الرجاء) التي ظهرت سنة 1922 ، لمدة عام واحد تقريبًا ، وهي أول صحيفة نسائية ظهرت آنذاك ، لصاحبتها الأستاذة / ليلى عبد الحميد الشريف ، وكانت هذه الصحيفة تحتفي بالعقاد إحتفاء كبيرًا يليق بعبقرية العقاد الفكرية ، فهي تقدم مقالاته على صفحاتها بقولها: (للأستاذ الجليل والشاعر العبقري) ، وبقولها : (لزعيم المذهب الأدبي الحديث) .

في صحيفة الرجاء هذه ، كتب العقاد مقالاً نشر في العدد الصادر في 16 مارس 1922 ، أي في الوقت الذي لم يهدأ فيه بعد لهيب هجمة الديوان ، أو تخف حدة آثارها في الواقع الأدبي ، كما أن جراحها بنفس شوقي وحواريه لم تندمل بعد ، ولكن العقاد يمضي كالإعصار لا يلوي على شيء ، ويكتب مقالته التي هاجم فيها أمير الشعراء تحت عنوان (الشوقية الصحراوية) أو (الحقائق الشعرية) .

وقصيدة شوقي التي هي موضوع نقد العقاد هي قصيدة (على سفح الهرم) ، ونجدها في الجزء الأول من الشوقيات ، ومطلعها :

قف ناج أهرام الجلال وناد　　　هل من بناتك مجلس أو ناد ؟

يشير العقاد في بداية حديثة أمرًا مهمًا ألا وهو أن شوقي ظن حين أنكر العقاد عليه تفاهة المعاني ، والتهافت على التقليد للأقدمين ، أنه يأخذه بألا يقول إلا جديدًا ، وألا يطرق معنى طرقه الشعراء من قبل ، وأن العقاد من وجهة النظر الشوقية يدعو إلى نبذ كل قديم ، والتعلق بكل جديد ، فلا يقر للمتقدمين بفضل ، ولا يرى للمحدثين عيوبًا .

وكلام العقاد هذا قاله ردًا على الأمير الذي دافع عن نفسه في هذه القصيدة ، حيث يقول :

والشعر من حيث النفوس تلذه　　　لا في الجديد ولا القديم العادي

ويرد العقاد سائلاً أحمد شوقي : من أي موضع جاء بهذا الرأي ؟ ، ومن أي موضع من كلام العقاد أخذ هذا الرأي ؟ ، ويأبى العقاد إلا أن يعيد على شوقي ما سبق أن هاجمه به في الديوان ، ثم يذكره بما سبق أن أوضحه له ، ثم وضع مقياسًا بسيطًا لسلامة الشعر وصحته بأنه لا يريد من الشعر إلا الصدق والجمال ، ثم ما شاء الشاعر بعدهما فليقل ، فإنه لا يقول إلا ما يروق السمع ، ويعجب النفس ، ويرضي الفكر .

ثم خاض العقاد مع شوقي نقد قصيدة (الشوقية الصحراوية) ، وأخذ يكشف له عن وجود العبث والتلاعب والمغالطة في مذهبه الشعري .

ويثير العقاد قضية مهمة وأقصد بها قضية (الشعر والتاريخ) أو (الأدب والتاريخ) ، وبمعنى آخر موقف الشاعر من القضايا العلمية والتاريخية ، وإلى أي مدى يحق له الخروج عليهما أو التقيد بهما ؟ ! .

لقد سخر العقاد من المدافعين عن شوقي ، وسماهم بجماعة (المتحذلقين) و بـ (الببغاوات) .

أعود لأقول لك : إن ما انتهى إليه العقاد بعد المناقشة يعد من الحقائق المهمة ، وأنه يجب ألا يخالف الشاعر ظاهر الحقيقة إلا ليكون كلامه أوفق لباطنها ، فأما أن يتخبط في أقاويله يمينًا وشمالاً مخالفًا ظاهر الحقيقة وباطنها مدايرًا أحكام الحس والعقل والصواب لغير غرض تستلزمه من خدمة الحقائق النفسية أو تصوير الضمائر الخفية فذلك هو السخف الذي لا يطاق !!!.

العقاد لا يسكت إلا متوعدًا متحفزًا حيث يختم مقالته على صفحات (الرجاء) قائلاً : وفي هذا الكفاية الآن !! .

ولا يكف الأستاذ / العقاد عن مواصلة كتابة المقالات الفنية في نقد الشعر ، وفهم حقائقه في تلك الآونة ، وكان بعض هذه المقالات في صحيفة (الرجاء) ، ومنها على سبيل المثال مقالته المنشورة في يوم 23 مارس 1922 ، تحت عنوان : (الوضوح والغموض في الأساليب الشعرية) ، وكذلك مقالته المنشورة في يوم 31 أغسطس سنة 1922 ، والمعنونة بـ (الوصف الشعري) .

العقاد المتجدد دائمًا بهذه المقالات وغيرها كأنما كان يرد الهجمة الكلاسيكية التي كانت تزعم دائمًا أن كتاب (الديوان) هو كتاب هدم لا بناء ، وفي ذات الوقت كان الرجل يفي بوعده ، الذي وعدنا به في مقدمة (الديوان)

، حيث أوضح وأكد أنه سيبدأ بالهدم لأنه واجب ، ثم يثني بوضع المقاييس وتقديم النماذج التي يجب أن تراعى وتلتزم في قول الأدب وفهمه .

وفي عام 1922 أيضًا سارع في إخراج كتابه (الفصول) ، والدارس للعقاد يلاحظ بالمطالعة السريعة لهذا الكتاب أن بعض مقالاته نشرها العقاد من قبل في صحيفة (الرجاء) سنة 1922 ، والتي كلمتك عنها من قبل .

وختامًا لهذه الجزئية أذكر أنه وقع في يدي كتاب بعنوان (المقالة في أدب العقاد) ، تأليف الدكتور / عبد القادر رزق الطويل ، صدر عن الدار المصرية اللبنانية ، سنة 1987 ، ويبدو أن الكتاب كان رسالة جامعية ، أو ما شابه ذلك ، ونحن الآن ليس في مقام نقد هذا الكتاب وسلبياته الظاهرة ، ولكن الذي لفت نظري أن المؤلف عند ذكره في نهاية كتابه ثبتًا للصحف والمجلات التي كتب فيها الأستاذ / العقاد ، تجاهل عددًا من هذه الدوريات ، ومنها دورية (الرجاء) التي كتب فيها الأستاذ مقالات جادة ومهمة ، أعاد نشرها في كتابه (الفصول) الذي صدر في نفس السنة تقريبًا ، ويبدو من كتاب الدكتور / الطويل أنه لم يطلع الباتة على هذه الدورية ، رغم ما يوحي به كلامه في المقدمة من أنه عان الأمرين في الاطلاع على كل الدوريات التي كتب فيها العقاد ، ولسان الحال يقول لنا : لا تصدقوا أيها القراء المساكين كل ما يقوله أهل التأليف من الكتاب ، سائلين الله العفو والعافية .

لقد عاش الباحث سنوات وسنوات في قسم الدوريات بدار الكتب المصرية ، وعرف كل المعرفة كل دورية أدبية أو ثقافية في القديم أو الحديث ، وشم بعمق رائحة ترابها ، وأكل من غبارها سنوات وسنوات ، وعليه فليس كل إنسان يصلح لأن يخوض غمار الدوريات أو يتعامل معها ، وعلى الله قصد السبيل ، سألين الله التوفيق للجميع .

المهم قبل أن أتركك فإن كتاب (الفصول) به إلى جانب مقالات الفكر والفلسفة والاجتماع والتاريخ مقالات وكلمات تتناول جوانب فنية مهمة

من الشعر ، مثل : الوضوح والغموض في الأساليب الشعرية ، والغزل الطبيعي ، والأدب المصري ، والوصف الشعري ، والعصرية في الشعر ، أستحلفك أيها القارئ المفضال أن تعود لهذا الكتاب وتحسن قراءته فستعم عليك فائدة كبيرة وجليلة ، وإنني على ثقة أنك لن تندم .

وأخيرًا ففي كتاب (الفصول) لا يفوت العقاد أن يذكر لنا تعليله للرواج الكبير الذي حظي به كتاب (الديوان) ، وشكه في أن يكون ذلك مرجعه إلى حب الأدب وحده ، ويرى أن الحملة المعروفة الهدف الشديدة الرماية والتي استفزت ذوق الجمهور ، كانت أقوى بواعث رواجه ، ويرى العقاد أن ذلك ليس بالأمر السهل الذي يحتمل الأديب المفكر أن يحبس قلمه عليه ، وقد سبق أن أوضحنا لبك ذلك ولا داعي لأن نكرره .

(13)

المهجر يؤيد

أقلب في صحيفة (الرجاء) سنة 1922 ، وهي أول صحيفة نسائية ظهرت في تلك الآونة لصاحبتها الأستاذة / ليلى عبد الحميد الشريف ، وكانت هذه الصحيفة تحتفي بالأستاذ / العقاد احتفاءً كبيرًا يليق بعبقريته الفكرية ، وهي تقدم مقالاته على صفحاتها بقولها أنها بقلم الأستاذ الجليل أو الشاعر العبقري أو زعيم المذهب الأدبي الحديث .

أقلب في هذه الصحيفة لأجدها قد خرجت على القراء في صباح 15 من يونيو 1922 ، وفي الصحيفة السادسة منها بالتحديد ، نقرأ نص رسالة مهمة بعث بها الشاعر اللبناني المهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية / ميخائيل نعيمه ، من مكتبه بالرابطة القلمية ..

في هذه الرسالة يعلن الشاعر والناقد / ميخائيل نعيمه شده لأزر الديوان وأصحابه ، ويثني عليه ثناءً قويًا ، ويعلن وقوفه من مهجره الشمالي إلى جانب معركة الديوان ، ووقوفه هذا موقف المغتبط بآماله الضائعة التي عثر عليها بعد يأس .

وأحب أن أذكر هنا للقارئ الكريم أن كتاب (الغربال) الذي ألفه الشاعر / ميخائيل نعيمه صدر بالقاهرة سنة 1923 ، وبذلك تكون صحيفة (الرجاء) قد حققت سبقًا صحفيًا تفردت به ، وذلك بأنها نشرت مقالة ميخائيل نعيمه عن الديوان ، قبل أن يطبع أو ينشر كتاب (الغربال) في القاهرة .

أعود معك إلى مقال / ميخائيل نعيمه ، فأرى أنها وثيقة مهمة في إلتقاء الإتجاهات التجديدية الكبرى في الأدب العربي الحديث في تلك الآونة ، مهما تباعدت الديار والأوطان ، ونأى الصحاب ، ولعل ذلك ما دعا

الأستاذ / العقاد إلى إعلان القرابة الأدبية والفكرية بينه وبين ميخائيل نعيمه المهجري المجدد ، وكل من على شاكلته ، وقد تأكد ذلك عندما كتب العقاد مقدمة كتاب (الغربال) فيما بعد عند ظهوره بالتحديد في يوم 24 مارس سنة 1933 .

الشاعر المهجري / ميخائيل نعيمه بدأ مهلًا بالعثور على آماله الضائعة فيقول في لهجة شاعرية على صفحات (الغربال) : آلا بارك الله في مصر فما كل ما تنثره ثرثرة ، ولا كل ما تنظمه بهرجة .

نعيمه مستشار الرابطة القلمية المهجري يحسب أن مصر وثنية تعبد زخرف الكلام ، وتؤله رصف القوافي ، فكم زمرت لبهلوان ، وطبلت لمشعوذ ، وطيبت لسكران ، غير أنه عرف اليوم ، يوم معركة الديوان بالحس ما كان يعرفه أمس بالرجاء .

رغم أننا نرفض رفضًا باتًا ما قاله نعيمه عن مصر التي بفضلها علمته وعلمت بني جلدته الكثير والكثير ، وقد اعترفوا هم بذلك جهارًا عيانًا ، على كل حال فنعيمه شاعر / النهر المتجمد يشيد بالإتجاه التجديدي في الأدب العربي ، ويعزز مبدأ مراجعة النقد لما تعارفت عليه الأمم ، لأن هذا خلق الأمم الناهضة ، لا الغافية المتأخرة .

وبدأ نعيمه يصور لنا ردود الفعل ، فعل آراء العقاد السابقة لفكره ولعصره ، رد فعلها عند الجامدين على الموروث الذين يدورون في فلكه : إن الساعة لرهيبة وجميلة ، مبكية ومضحكة ، ينتصب الميزان فتهبط منه كفة وترتفع كفة ، فيظهر ناقصًا ما كان يحسبه الكثير راجحًا ، وراجحًا ما كان يحسب ناقصًا ، إنها الساعة ستتسل فيها عروش ، وتتدحرج تيجان ، وتتحطم صولجانات ، وتطلى بالقير وجوه لامعة ، وتغرب شموس ، وتندثر آثار ، فكم من شهرة ستنقلب وصمة ، ومن إله صنمًا ، ومن دره مدره !! .

ويواصل نعيمه كلامه الشاعري : لذلك سنسمع عويلاً ونحيبًا ، وقهقة وكركرة ، ودمدمة ، وزمجرة ، سنسمع تهليلًا ، ونسمع وعودًا ، ونسمع وعيدًا ، وقد بدأنا نسمع كل ذلك في مصر .

نعيمه نجح في أن يعكس ويصور المعركة بين المجددين والتقليديين تصويرًا دقيقًا ، ولقد كان هذا هو الحال والشأن بين الشوقيين والعقاديين عندما ظهر كتاب (الديوان) .

صاحب (الغربال) بأسلوبه الشاعري يعبر عن روح التجديد الأصيلة التي فرضت نفسها على حياة الفكر الجديد ، فهناك اليوم في بلادنا جماعة ترفض أن تتناول غذاءها الأدبي من قصع أجدادها ، وبملاعق أجدادها ، بل تفضل أن تطبخ طعامها بيدها ، وأن تمضغه بأسنانها لا بأسنان سواها .

وهذا كلام لا بأس به ، ولكن واقع الأمر وحكم العقل يقول من لا ماضي له لا حاضر له ، وعلينا أن نأخذ من القديم أعظم ما فيه لنبني حاضرنا على أسس راسخة نشيد بها أعظم البنيان من أجل حاضر أحسن ومستقبل أفضل ، فإهانة الآباء والأجداد والإساءة إليهم أمر مرفوض جملة وتفصيلاً ولا يليق على الإطلاق بقيمنا وأخلاقنا وثوابتنا ومبادئنا وما تربينا عليه .

نعود إلى نعيمه ، فيقول لنا : إن هذه الجماعة يقصد جماعة العقاد ، قد اكتشفت لذة الإستقلال الفكري والشعوري ، ولعل أطيب ساعة في حياة نعيمه هي الساعة التي اهتدى فيها إلى جماعة العقاد ، ولمس الحياة الجديدة فيها .

الشاعر المهجري لا يداري إعجابه بدقة وصحة الموازين النقدية في كتاب الديوان ، وفي آراء وفكر العقاد ، وهو لا يداري أيضًا سخطه على الشوقية والشوقيين وأتباعهم وأشياعهم ، لأنهم لا يفهمون الشعر بل يعتدون عليه ، ولذلك فهو يرى أن هجوم العقاد اللاذع له ما يبرره ، وأن

الهجوم في الحق لا يقصد شوقي قدر ما يعني الطريقة والمنهج ، ولكن الناقد مضطرًا دومًا إلى أن يسمي الأشياء بأسمائها .

وبهذه الطريقة الصادقة أخذ العقاد يحك طائفة من الشوقيات ، فما انتهى من حكها حتى تركها كومة من الصدور والأعجاز الشعرية مفككة الأوصال ، متنافرة الألوان والمعاني ، يابسة القلب ، مكفهرة الوجه .

ويرى نعيمه أن العقاد فعل ذلك بمهارة لا نشك في أنها قد سببت لشوقي ولعشاقه ألف غصة وغصة ، إذ أنها قد نزعت عن رأس شوقي أمير الشعراء إكليله الذي ضفره له وهم الكثيرين وجهلهم ، ولا إكليل على رأسه إلا الخيبة ، ولا يرقد على كتفيه إلا الخجل .

وهذا بالطبع نرفضه من هذا المهجري ، فشوقي مهما اختلفت مقاييس التجديد معه ، فهو أمير الشعراء دون شك ودون منازع ، مهما دارت الأيام وتغيرت الظروف والصروف والأحوال ، وسيظل الأمير إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

يقول المهجري : إن من يرى شوقي الأمير في ميزان العقاد يشفق على شوقي تمامًا ، وتكاد شفقته تنقلب نقمة على الناقد الذي لم يشأ إلا أن يكسر رجلي الجبار (الخزرفي) ليرى الناس أنه من (خزرف) ، ولو صبر قليلاً لفعلت الأيام به .

وبالطبع هذا كلام فارغ لا يصح ، نحن نقبل نقد العقاد لشوقي ، ونرحب به ، ونتعلم منه ، والعقاد نفسه عرف فضل شوقي ، والاختلاف في المقاييس النقدية لا يفسد بين أبناء البلد الواحد قضية ، أما أن يأتي كل من هب ودب ليهين الأمير فهذا مرفوض جملة وتفصيلاً .

بعد ذلك نجد نعيمه بطريقته الغير حكيمة يهاجم أحمد شوقي أمير الشعراء من أجل أبياته عن ريشة صدقي ، ويصفها بأنها أبيات إعلانية ، وهذه الأبيات تناولها العقاد بالنقد في الجزء الثاني من كتاب (الديوان) .

السيد / نعيمه لا يلوم العقاد في عنفه على أمير الشعراء / أحمد شوقي ، وذلك ليظهر لأتباع شوقي ما ليس خافيًا ولو قليل من الذوق في الأدب والفن .

وفي واقع الأمر نحن لا ندري تمامًا لماذا عاد السيد / نعيمه بعد كل هذا ليقول في نهاية حديثه عن العقاد ورفاقه : ولو أنهما ترفعا كل الترفع عن الوخز في شخصيات من ينتقدانهم من الكتاب والشعراء لما كان على كتابهما من غبار لوم وتثريب .. !!!

أعتقد أن ميخائيل نعيمه ليس بناقد ولا يمكن أن تعتبره في زمرة النقاد ، كل ما في الأمر أنه شاعر رقيق وديع قادم من وراء البحار ، لم يكن يعرف الوخزات الفاحشة المؤلمة التي وجهت إلى أمير الشعراء والشوقيين ، وأيضًا الوخزات الفاحشة المؤلمة التي وجهت للعقاد والعقاديين ، على أن العقاد لم يتجاوز وخزات نعيمه في غرباله ، فالقسوة بين هذين الطرفين على درجة واحدة ضد الأمير وأتباعه .

كان كتاب (الغربال) لنعيمه ، ومقالته في صحيفة (الرجاء) المصرية صيحة مدوية من خلف البحار عام 1922 ، وقد بعث بها لتشق طريقها في الصحافة المصرية لا لتؤيد (الديوان) العقادي فحسب ، بل لتباركه ، وتشدد النكير على أمير الشعراء وحوارييه .

في عام 1923 ، وفي القاهرة ، طبع كتاب (الغربال) ، وكتب العقاد مقدمته ، ويعلن اغتباطه بالغربال لما اشتمل عليه من صفاء الذهن ، واستقامة النقد ، والغيرة على الإصلاح ، والفهم لوظيفة الأدب ، كل ذلك في قبس من الفلسفة ، ولذعة من التهكم ، تجعله محببًا إلى قارئه .

ويرى الأستاذ / العقاد في (الغربال) ما تشعر به القافلة المنبتة في المفازة السحيقة ، إذا برزت لها قافلة أخرى تنشد الغاية التي خرجت هي تنشدها ، وأوشكت أن ترتد عنها يائسة .

إذن كان ظهور (الغربال) لنعيمه حملة جديدة بل مناسبة لحملة جديدة تشد أزر (الديوان) والعقاد على نحو بالغ العمق والعنف ، وأنت إذا راجعت معي مقدمة الأستاذ / العقاد لكتاب (الغربال) تجده لا يكف عن تشديد النكير على الاتجاه القديم ، وعن تسويغ هجمته الكبرى التي احتواها كتاب العقاد (الديوان) ، بدافع الغيرة على الأدب العربي ، والإنكار للجمود الشديد لدى أنصار الإتجاه القديم .

ويعلن الأستاذ ألمه وحزنه لضياع جهد المجددين في المشرق ، بل يتألم ويحزن على ضياع جهده الأصيل المخلص الذي يمتاز عنده بالريادة المقتحمة ، والذي لم يلق تقديره حتى لدى أنصار التجديد في الأجيال اللاحقة الذين لم يقدروه حق قدره بل ينظرون إليه وإلى جهده في غير شيء .

ويمضي العملاق في تبرير قسوته (العقادية) على أمير الشعراء / أحمد شوقي ، وعلى غيره من التقليديين ممن حدد كتاب (الديوان) أسماءهم في حملته عليهم ، بل يبرر لكل ناقد قسوته في النقد الأدبي .

(14)

في مواجهة الأمير

أحمد شوقي أمير الشعراء رجل له أسلوبه في الحرب الأدبية أو المعارك الأدبية ، يتسم كثيرًا بخصائص الحرب السياسية التي تدور وراء الكواليس ، وفي أروقة القصور التي تربى فيها الأمير ، إنها تعتمد على التدبير قبل الحركة ، وعلى الإمساك بالهدف قبل الرماية ليثبت في مكانه فلا تخطئه الإصابة .

وأمام الحركة الأدبية الجديدة بزخمها والتي زحمت الحياة بعد ثورة مصر الكبرى سنة 1919 ، والتي فرضت نفسها بقوة نتيجة للعوامل التي مهدت لها ، وعمقت مجراها منذ نهاية القرن التاسع عشر ، وجد المحافظون أي شوقي وأتباعه أنفسهم وعلى رأسهم أميرهم محاصرين بمجموعات من قوات مهاجمة تفهم الأدب غير فهمهم ، وتحتفي بالشعر لغير ما يحتفون به ، وتقدمه بطرائق غير التي يخلص لها هؤلاء .

نقول : إنه لم يعد التراث الشعري هو المثل الأعلى الذي يجب أن يحتذي دائمًا ، والعقاد كما نعلم خير من تحدث عن الجيل الذي نشأ بعد شوقي ، فهو رائد هذا الجيل ، ويمكن للقارئ أن يراجع في ذلك دراسته الجادة عن شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ، وأمامي الطبعة الثالثة ، الصادرة سنة 1965 بالقاهرة .

شوقي وأنصاره أرادوا أن ينتزعوا لأنفسهم حكمًا رسميًا غير قابل للنقض بأن شوقي هو أمير الشعراء بدون منازع وسيد دولة الشعر ، وفي ذلك برهان على ما أصاب ملكه من سهام المجددين كان هذا ضربًا في فراغ وجهدًا بغير طائل .

شوقي رجل محب للشهرة والصيت حريص على تجميع الأعوان واتقاء الخصوم ومحاربتهم بأسلوب هو في الجملة أسلوب القصور حيث التأثير والتوجيه بحيل الحركة من أسفل المسرح ، ومن وراء الكواليس ، ولا ننسى جمهور شوقي الكلاسيكي الذي يعتز به ، ويرفعه إلى أعلى الدرجات ، ويخفض الناس دونه بغير حساب في الرفع والخفض ، وجمهور شوقي يدافع عنه لأنه مؤمن بفنه ، ومعجب به إعجابًا قد يدفعه إلى حد التضارب بالأيدي إذا لزم الأمر ، على كل حال فإن لسان الحال يقول بأعلى صوت : من ذا الذي لا يحب شوقي !! .

إذن باختصار شديد نقول : إن فكرة البيعة ، مبايعة شوقي بإمارة الشعر العربي في 29 أبريل سنة 1927 ، وراءها جهد مشترك من المخلصين والمنتفعين ، ومن شوقي نفسه ، وكل بما تيسر له .

ولكن صفاء حفل البيعة أو مسرحية البيعة كما وصفها أعداء شوقي لم تسلم من سهام المجددين الذين كانت قواعدهم قد تمركزت بحيث تستطيع الإستشراف والإصابة .

أنظر الآن على مكتبي لأجد كتابين مهمين من الأهمية بمكان أن نعود إليهما ، الكتاب الأول : كتاب الدكتور / ماهر حسن فهمي عن أحمد شوقي ، والصادر سنة 1969 بالقاهرة ، ضمن سلسلة أعلام العرب ، العدد 87 ، وهذا الكتاب كان مقررًا على طلاب المرحلة الثانوية في وزارة التربية والتعليم المصرية ، ويذكر الباحث أنه درس هذا الكتاب ، ووجد متعة شديدة في عرضه لأولادنا الطلاب .

أما الكتاب الثاني : فهو كتاب الأستاذ / طاهر طناحي أو الطناحي ، عن (شوقي وحافظ) ، الصادر في شهر مايو سنة 1967 ، عن سلسلة : كتاب الهلال بالقاهرة ، ولا تنس عزيزي القارئ كتاب أستاذنا عميد الأدب العربي / طه حسين والمعنون بـ (حافظ وشوقي) .

نعود إلى كتابي الدكتور / ماهر ، والأستاذ / طناحي ، في هذين الكتابين المهمين نراجع العديد من التفصيلات عن لجنة تكريم شوقي ، واللجان المتفرعة عنها ، وقصة اللجنة التي بدأت عملها في أواخر شهر أكتوبر سنة 1926 ، ثم كان يوم الإحتفاء الكبير بدار الأوبرا المصرية في يوم 29 أبريل سنة 1927 ، حيث وقف شاعر النيل / حافظ إبراهيم بما له من جلال الإنشاد ، وروعته ليقول :

أمير القوافي قد أتيت مبايعًا وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

بعد ذلك توقف حافظ عن الإنشاد ، وتقدم من مقصورة شوقي ، ومد يده إليه مبايعًا ، فعانقه شوقي عناقًا حارًا ، وأخذ الموقف الناس فصمتت حينًا ، ولكنها لم تلبث أن أفاقت فدوت القاعة بالهتاف والتصفيق .

ولقب أمير الشعراء يعود إلى أيام الخديوي / عباس حلمي الثاني ، وله طرف من طرائف الحوار الأدبي أو قل المعارك الأدبية أو الشخصية ، فقد حدثت جفوة عابرة بين الشيخ / علي يوسف ، صاحب جريدة المؤيد ، و أحمد شوقي ، فأطلق الشيخ على حافظ لقب / شاعر النيل ، والنيل تشمل مصر والسودان ، وكان شوقي يطلق عليه شاعر الأمير ، وإذن فهو من رعايا شاعر النيل ، فهبت صحف : اللواء ، والجريدة ، والأهرام ، وأطلقت على شوقي لقب / أمير الشعراء ، ليكون (حافظ) من رعاياه ، واشتهر شوقي باللقب منذ ذلك الوقت .

ولكن الأستاذ / داود بركات ، رئيس تحرير جريدة الأهرام ، يؤكد لنا على أنه هو أول من أطلق لقب / أمير الشعراء على أحمد شوقي ، عندما كان ينشر قصائده هو وحافظ إبراهيم في صدر الصفحة الأولى من الأهرام.

والباحث كمؤرخ أدبي يزيدك من البيت شعرًا ، فيقول لك : إن (شكيب أرسلان) ، أمير البيان و المثقف الشامي الكبير ، وهو من أمراء جبل الدروز ، عربي القلب واللسان ، ومن كبار المدافعين عن العرب

والإسلام في العصر الحديث ، ومن أكابر المثقفين العرب الذين تنساهم الأجيال الجديدة .

الشيء العجيب الغريب هو أن (شكيب أرسلان) لقب رب السيف والقلم الفارس المهزوم / محمود سامي البارودي بلقب أمير الشعراء قبل شوقي ، ثم اعترف بعد ذلك بأن (شوقي) هو أمير الشعراء .

كان شكيب أرسلان يعتبر البارودي أمير الشعراء ، واتخذه أستاذًا وإمامًا ، ولكنه عرف أحمد شوقي بعد ذلك ، وبايعه بإمارة الشعر ، واقترح عليه أن يجمع شعره في ديوان وأن يسميه (الشوقيات) ، وقبل أن يحمل شوقي لقب إمارة الشعر كان "شكيب أرسلان" يعرف هذه الحقيقة ، حيث وصفه في رثائه :

هذا أمير الشعراء غير مدافع   في الشرق أجمع مذ فتق لهاته
لو كان وحي بعد وحي محمد   لانشق ذاك الوحي عن آياته .

وأحمد شوقي نفسه يذكر بداية صلته بشكيب أرسلان ، فيقول : جمعتني باريز (باريس) في أيام الصبا بالأمير شكيب أرسلان ، وأنا يومئذ في طلب العلم ، والأمير حفظه الله في التماس الشفاء ، فانعقدت بيننا الألفة بلا كلفة ، وكنت في أول عهدي بنظم القصائد الكبيرة ، وكان الأمير يقرأ ما يرد عليه منها منشورًا في صحف مصر ، فتمنى أن تكون لي يومًا ما مجموعة ، ثم تمنى عليّ إذا هي ظهرت أن أسميها (الشوقيات) .

على كل حال إذا أردت المزيد عن هذا الأمر فلي كتاب عنوانه (أميران وإمارتان) تكلمت فيه تفصيلاً عن أمير البيان الأمير / شكيب أرسلان ، وأمير الشعراء / أحمد شوقي ، نأمل في نشره إذا كان في العمر بقية .

أعود بكم لأقول : إن رد الفعل الناجم عن مبايعة شوقي بإمارة الشعر العربي كان سريعًا جدًا لدرجة أنه في نفس اليوم ، يوم 29 أبريل

سنة 1927 ، خرجت صحيفة (البلاغ) في المساء تحمل مقالة للعقاد تحت عنوان (تكريم النوابغ) يؤكد فيه أنه إذا كان الإكرام حقًا لكل نابغ من نوابغ العلوم والفنون ، فقد يكون الأدباء والشعراء ، ورجال الفنون الجميلة ، أحق من سائر النوابغ ، لهذا يستبشر بالتفات الشرقيين إلى تكريم الشعراء والعلماء ، ويود أن يرى تكريمًا كريمًا لا إعلانًا يشترى بالمال ، أو بالمصانعة والمجاراه .

ويقرر العقاد من جديد رأيه في شعر شوقي ، مؤكدًا على أنه رأي معروف لن يتحول عنه بالمرة فهو ليس كهؤلاء الكتاب والنقاد في هذه البلاد.

وشعر شوقي عند العقاد لا يرتفع بنفس قارئ واحد إلى أفق فوق أفقه ، ولم يفتح لقارئ واحد نهجًا من الإحساس أوسع من نهجه ، ولم يعلم أحد كنه الحياة ، ولا زين لأحد شيئًا من صور الحياة .

وأمير الشعراء / أحمد شوقي عند الأستاذ / العقاد رجل لم نرى ، ولم نسمع مثله نصب للتكريم في أمة تفهم معنى الكرامة والرجولة ، وعلى الرغم من كل شيء فالعقاد لا يظنه ليستوجب من أحد عرفانًا بحق أو تنويهًا بفضل !! .

وجعل العقاد مبايعة الأمير بالإمارة ما هو من أوله إلى آخره إلا دعاية شوقية بحته قام بها الرجل لنفسه .

الحق يقال : إنه غير خاف عمق القسوة العقادية على الأمير ، ونحن لا ننكر أن أمير الشعراء زين الكثير من صور الحياة للناس ، ونحن لا نناقش هنا تلك المسألة ، ولكن أجدني قد وضعت قلمي ، لأقلب صفحات عن شاعر الحكمة والأخلاق / أحمد شوقي ، وذلك من خلال كتاب أستاذي المرحوم الدكتور / أحمد الحوفي ، والذي عنوانه (الاتجاه الروحي في شعر شوقي) ، طبعة 1967 ـ ثم كتاب (وطنية شوقي) لنفس المؤلف ، وكتاب ثالث عن الدين والأخلاق في شعر شوقي ، لأستاذي الدكتور المرحوم /

علي النجدي ناصف ، والمعنون بـ (الدين والأخلاق في شعر شوقي) ، معي الطبعة الثالثة ، والصادرة بالقاهرة 1964 .

وهذه الكتب في ملتي واعتقادي تكفينا مؤنة الحديث عن الأخلاق والدين والحكمة والوطنية في شعر أمير الشعراء / أحمد شوقي ، وتلك أمور ثابتة راسخة لا تقبل المزايدة ، وهي كفيلة بالرد على أستاذنا / العقاد في هذه الحملة .

وكان اليوم التالي لمبايعة شوقي لأمارة الشعر في دار الأوبرا المصرية القديمة التي حرقناها بدم بارد ، أقصد يوم 30 أبريل سنة 1927 ، أصدرت : (السياسة الأسبوعية) عددها الشهير الخاص ، تكريمًا لأمير الشعراء / أحمد شوقي ، وقد تمكنت بعد جهد جهيد من الاطلاع على هذا العدد المهم في قسم الدوريات بدار الكتب المصرية ، فوجدت أن المجلة قد أعطت الحرية التامة والكاملة للكتاب في التعبير عن آرائهم ، وتساءلت في بداية العدد ، أي في مقالتها الافتتاحية عن الأسباب التي حدت بها لإصدار هذا العدد الخاص .

وفي الواقع أن فريق الناقدين كان أرجح من فريق المقرظين لشوقي ، كما يقول العقاد في مقاله على صفحات (البلاغ الأسبوعي) الصادر في 24 يونيه 1927 ، وبقراءة مادة العدد الذي أصدرته (السياسة الأسبوعية) نجد الكتاب عبارة عن طائفتين : طائفة مغمورة ، وهذه مهمتها أن تكيل المدح كما يهوى شوقي ، وطائفة ذات مكانة في مضمار الأدب ونقده ، ونرى أنها هي التي تهم الباحث الجاد .

وهذه الطائفة أصناف ثلاثة :

ــ الصنف الأول : مال إلى شوقي ، وأبرز أعلامه : أنطون الجميل (الصحفي والأديب) ، الذي دافع عن موقف شوقي في مدح الملوك والأمراء ، ونفى أن يكون ذلك راجعًا إلى شك في صحة عقيدته السياسية ونزاهته الاجتماعية .

والشاعر الرومانسي / على محمود طه المهندس ، الشاعر المجدد ، دفعه الحماس إلى تعميمات غريبة جعلته يفضل شوقي على شعراء الغرب.

والناقد الباحث الدكتور / محمد صبري السوربوني يجعل شوقي مساويًا لفكتور هوجو ، ووليم شكسبير ، وموليير ، وشيللي ، وبيرون ، وهو عنده أفضل شعراء العربية على الإطلاق .

ـ الصنف الثاني : توسط بين طرفي المدح والإطراء والقسوة واللوم ، وهم عند شوقي صنف متحامل ، وبعضهم في الحق لم يقل في مؤاخذته عن الذين هاجموه هجومًا مطلقًا ، ومن هؤلاء الشاعر / أحمد محرم (شاعر الإليازة الإسلامية) ، والدكتور الشاعر الطبيب / أحمد زكي أبو شادي (رائد جماعة أبوللو فيما بعد) ، الذي تحدث عن منزلة شوقي الشعرية وهو يسميه (الكوكب التائه) .

ـ الصنف الثالث : عنف على شوقي في نقده ، وكان من وجهة نظر العقاد ، أقوى في فكرته ، وأمضى في عزمه ، وأبرز كتابه : إبراهيم عبد القادر المازني ، وعباس محمود العقاد ، والناقد الباحث / إسماعيل مظهر ، ومحمد الهيماوي ، وحسن محمود ، ومحمد الأسمر ، وجميل صدقي الزهاوي .

أكد المازني أن شوقيًا ليس بالشاعر ولا شبهه ، إنه قطعة متلكئة من زمن عابر لا خير فيه !!

وقال العقاد : إن قراء شوقي لا يملكون عاطفة مشبوبة ، ولا بديهة يقظه ، وهو لا يفهم معنى الشعر !!

وقال الهيماوي : إن شعر شوقي هو شعر جيل قديم ، جامد ، جاف لذلك يدعوه إلى التجديد !!

وهنا لي رجاء خاص من شباب الباحثين والمبدعين ومحبي الأدب ألا وهو إعادة قراءة هذا العدد التاريخي المهم من (السياسة الأسبوعية) ، ويعيدون قراءة كلمة الأستاذ ، حسن محمود ، وكلمة الشاعر / محمد الأسمر ، وكلمة الأستاذ / إسماعيل مظهر ، وكلمة الشاعر العراقي / جميل صدقي الزهاوي ، وسيلاحظون معي أن هذه الكلمات تعد من الكلمات المعتدلة أو الوسطى في موقعها ، ولكنها مالت أكثر إلى مؤاخذة شوقي .

على كل حال فمن حق العقاد أن يغتبط أو يسعد بأثر الأفكار التي أذاعها ضد شوقي وأتباعه ، وضد شعرهم ، لأنه يرصد صدى أثرها في كلمات النقاد والكتاب .

صحيفة (عكاظ) ردت بحملة أرادت بها إزالة آثار عدد (السياسة الأسبوعية) الخطير ، هاجمت (عكاظ) الأستاذ الدكتور / محمد حسين هيكل باشا ، لأنه أفسح المجال للعقاد وللمازني أن يكتبا ضد شوقي ، هيكل باشا الأديب المثقف يدخل المعركة ويرد على شوقي شاعر الأخلاق ، والدكتور / أحمد زكي أبو شادي يهاجم موقف أحمد شوقي من عدد (السياسة الأسبوعية) ، والشاعر / محمود عماد يهجو شوقي هجاءً لاذعًا ..!!

صحيفة (عكاظ) لم تسكت على غضبة هيكل باشا ، فعادت إلى مهاجمته وعيرته بصداقته لشوقي ، وزيارته له في كرمة (ابن هانئ) مع الطاعمين والكاسين !!!

ملحوظة : نريد أن نذكرها لك هنا ، ونريد أن تنتبه لها معنا ، ألا وهي أن سعد زغلول باشا زعيم الأمة والوفد كان رئيسًا لحفل تكريم / أحمد شوقي ، وينبغي للباحث أن يلاحظ أن العقاد إنما كان دائمًا رجل مبدأ وفكر ـ كما يقول بعض أساتذتنا ـ ، ولم يمنعه مقام سعد زغلول باشا ومنزلته من حفل تكريم شوقي ، عن الوفاء لعقيدته الأدبية في فهم الشعر ، وعن الوفاء لرأيه في شعر شوقي .

ويتقدم العقاد من الأمير طبقًا للعقيدة التي تحفز وتملأ أقطار نفسه ، وسعد زغلول ينزل من نفس العقاد ، ومن نفوسنا جميعًا ، وقلبه ، وقلوبنا جميعًا ، قمة رفيعة من الحب والإجلال ، ولكن حب الحق الذي يعتقده العقاد ـ كما يؤكد محبوا العقاد ـ أعز عليه من أن يتهاوى أمام أي ظرف أصيل فضلاً عن أن يكون طارئًا ، ومن ثم يقول بكل الثقة والنفاذ كلمته الصريحة في شعر شوقي الأمير ، وفي خلقه الأدبي يوم تكريمه الرسمي في حضور شعراء المشرق والمغرب وصفوة القوم وكبرائهم .

وعلى الرغم من ذلك مازلنا نذكر مطلع قصيدة الأستاذ / العقاد في رثاء سعد زغلول باشا زعيم الأمة المصرية ، والذي يقول فيها :

أمضت بعد الرئيس الأربعون   عجبًا كيف إذن تمضي السنون ؟ !

الرئيس هنا هو سعد زغلول باشا زعيم الأمة ، والعقاد يعني أن الأيام تمر ثقيلة بعد وفاة الزعيم ، وقد مضى أربعون يومًا صعبة بعد رحيله ، فكيف يمكن أن تمضي السنون ، وقد خلت الدنيا من هذا الزعيم العظيم .

أقول لك كان الأستاذ / العقاد عاشقًا لسعد زغلول ، وقد ألف عنه كتابًا رائعًا اسمه (سعد زغلول : سيرة وتحية) ، وهو من أفضل كتب العقاد (من وجهة نظري الخاصة) ، لأنه يجمع بين العاطفة الوطنية والعاطفة الشخصية ، فالعقاد في هذا الكتاب شاعر ومؤرخ معًا ، ما أجمل أن يجتمع الشعر والتأريخ في عمل واحد !

ما أجمل أن يكون للمفكر أو الفنان مثل أعلى من الزعماء السياسيين والإنسانيين ، فالمفكر والفنان يحلمان ، والزعيم يحقق الأحلام ، فقد وصف أحد المفكرين (نابليون) وهو في قمة مجده وصفًا غريبًا فقال : نابليون شاعر يعمل !! ، ومن هذا الوصف يمكننا أن نقول إن العمل عندما يكون جميلاً وبديعًا فإنه يصبح شعرًا ، كذلك فإن الشعر الحقيقي الأصيل يمكن أن يصبح عملاً بنفس القوة .

إن التاريخ يؤكد لنا أن هناك تكاملاً بين الزعيم الحقيقي والفنان الحقيقي ، فهما وجهان لعملة واحدة ، والنماذج في هذا المجال كثيرة منها : تكامل شاعر العربية الأكبر / أبو الطيب المتنبي مع سيف الدولة الحمداني ، وتكامل الفيلسوف / أرسطو مع الإسكندر المقدوني أو الأكبر ، وتكامل الموسيقار العبقري / بيتهوفن مع نابليون في القسم الأول من حياة نابليون ، وكان فيها مثلاً عاليًا للبطولة قبل أن يطغى ويتكبر ، وهناك تكامل بين أمير الشعراء / أحمد شوقي ، والزعيم الوطني الشاب / مصطفى كامل ، وبين خطيب الثورة العرابية الشاعر والكاتب / عبد الله النديم ، والزعيم / أحمد عرابي .

ويمكن للقارئ الكريم أن يراجع مقالة كتبها الأستاذ الناقد / رجاء النقاش (رحمه الله) في عدد صحيفة الأهرام الصادر يوم 13 أكتوبر سنة 1995 ، لتعم الفائدة في هذه الجزئية .

نقول : إن هجمات جريدة (عكاظ) التي خف إليها الطاعمون والكاسون من أنصار شوقي ، وأسباب أخرى يمكن تحريها ، على حد كلام حزب العقاد ومن لف لفيفه ، جعلت العقاد يهم بعمل جديد من أجل الشعر والأدب عامة ، وفي الوقت نفسه ضد شوقي الذي كان العقاد يعتبره دائمًا عقبة في سبيل الفهم الجديد للشعر .

هذا العمل الذي قدمه العقاد هو سلسلة من المقالات التي كتبها تحت عنوان (الشعر في مصر) والتي نشرتها (البلاغ الأسبوعية) لصاحبها الصحفي والمؤرخ والباحث / عبد القادر حمزة ، هذه الصحيفة نشرت مقالات العقاد المشار إليها في الفترة من 6 مايو لسنة 1927 ، إلى 24 يونيو سنة 1927 ، وقد جمع العقاد هذه المقالات في كتابه المهم (ساعات بين الكتب) ، الصادر في طبعته الأولى سنة 1929 ، وهذه المقالات كانت في روحها وجوهرها ضد أمير الشعراء / أحمد شوقي ، وكانت شرحًا لمفهوم الشعر ، وكانت كشفًا وتأريخًا يحفلا بالحديث عن روح الشاعرية في بلادنا منذ القدم .

و أحـب أن أختـتم هـذه السـطور فـأقول لـك : إن حـرص العقـاد فـي موقفـه مـن شـوقي علـى إبـراز جوانـب التقصـير فـي شـعره ، والحملـة علـى شخصه في معظـم مـا كتـب ، وقد اختلـف أسـلوبه خـلال الفتـرة الطويلـة التـي كتب فيها عن شوقي ، فكان قاسيًا عنيفًا فـي (الـديوان) ، سـنة 1921 ، وفـي الموازنـة بينه وبين البحتري الشـاعر العباسـي المشـهور فـي قصـيدة السـينية ، وفـي نقده لقصـيدة شـوقي فـي وصـف الربيـع ، سـنة 1929 ، وفـي (روايـة قمبيز في الميزان) سنة 1932 .

ثم كان العقاد أخف وطأة في كتابه (شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي) ، الصادر سنة 1937 ، ثم أصبح يتناوله في النقد بأسلوب هادئ ظهر جليًا في مقالة له بعنوان (الموازنة بين شوقي وحافظ) ، والمنشورة في مجلة (الكتاب) ، سنة 1947 ، ثم قوم شعره وشخصه بأسلوب أكثر هدوءًا ، ولكنه لا يخلو من سخرية في حديثه عن الشعر الفكاهي عند شوقي ، بمناسبة مرور ربع قرن على وفاته ، والمنشور في مجلة (الهلال) القاهرية سنة 1957 .

وأخيـرًا : كتـب عنـه بأسـلوب النقـد الموضـوعي الـذي لا يـبخس الشاعر حقه كله ، ولا يجرده من كل ميزة ، بل اعترف له بمكانتـه فـي جيلـه ، وألمعيتـه فـي مدرسـته ، وتفـرده فـي شـعر النمـاذج ، وذلـك عبـر مقالـه المنشور في مجلة (الآداب) سنة 1958 .

وأحـب أن أذكـر هنـا كتابًـا علـى درجـة كبيـرة مـن الأهميـة يسـتحق القراءة والتأمل ، وأعني بذلك كتاب (النزعة النفسية في منهج العقاد النقدي) ، تأليف الـدكتور / عطـاء كفـافي ، صـدر فـي مصـر سـنة 1987 ، وأرشـحه لك للقراءة إذا كنت مهتمًا بالجانب النفسي في كتابات العقاد .

وأتذكر هنا أنه صدر كتاب بعنوان "عباس محمود العقاد.. المقالات النادرة.. بحوثه ومحاضراته في مجمع اللغة العربية"، جمع وتقديم ودراسة للباحث "صلاح حسن رشيد" عن دار "البشائر" في بيروت، ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس للتراث الأدبي في الكويت .

قال "رشيد" إن البحث عما كتبه عباس محمود العقاد لم يتوقف منذ أن رحل عن الدنيا، قبل نصف قرن، وعلى الرغم مما بذله تلامذته ومريدوه من جهد في الكتابة عن تراثه ومآثره وعبقريته الفريدة، إلاّ أنه ما زال هناك الكثير من مقالاته، وإسهاماته الفكرية والأدبية خافيا في بطون الصحف، لا سيما المجلات، التي كانت تصدر في أوائل القرن العشرين.

وأضاف "رشيد" أن ما جمعه من مقالات نادرة للعقاد ليس سوى نماذج من تراثه المتناثر هنا وهناك، مشيرًا إلى أنه توصل إليها بعد مشقة كبيرة من البحث في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الذي كان العقاد واحدًا من أعضائه البارزين لحوالي ربع قرن من الزمان، ترك فيه بصمات واضحة على اللغة العربية، وآدابها في القرن العشرين، لا تزال شاهدة على عبقريته اللغوية والفكرية .

تكشف هذه المقالات عن ريادة العقاد اللغوية التأصيلية التجديدية ، منذ بواكير شبابه ، وعن سعة ثقافته الأدبية واللغوية الضاربة في عمق التراث العربي ، ومدى انفتاحه على المدارس اللغوية الغربية الحديثة ، ومواءمته بين الأصالة والمعاصرة ، ومن موضوعات الكتاب: "موقف الأدب العربي من الآداب الأجنبية في القديم والحديث ، الإتجاهات الحديثة في الأدب العربي ، أغراض البحوث في الفصحى والعامية ، أعمال من اللهجات العامية ، الشعر العربي والمذاهب الغربية الحديثة ، السيمية ، الزمن في اللغة العربية ، كلمات عربية بين الحقيقة والمجاز، كلمة الشعر، مسابقة الشعر، نقد ديوان "من وحي المرأة " للشاعر عبد الرحمن صدقي ، نقد ديوان "أنت أنت" للشاعر محمد علي الحوماني، في استقبال الأديب إبراهيم عبد القادر المازني ، في استقبال الشاعر عزيز أباظة ، في استقبال العراقي محمد رضا الشبيبي ، تأبين المازني ، تأبين أحمد حافظ عوض ، رثاء العلاّمة حاييم ناحوم رئيس الطائفة اليهودية في مصر وعضو المجمع ، رثاء الإمام أحمد حمروش شيخ الأزهر الشريف، ردود العقاد وتعقيباته"

(15)

مطالعات في الكتب والحياة

الكتاب الذي أمامي الآن بعنوان (مطالعات في الكتب والحياة) هذا الكتاب كتبه الأستاذ / عباس محمود العقاد ، وأخرجته المطبعة التجارية بالقاهرة ، سنة 1924 .

هذا الكتاب يحوي مجموعة من المقالات المهمة بعضها نشر من قبل ، وبعضها كان مما نشرته صحيفة البلاغ ، تلك الصحيفة التي استمرت من سنة 1923 إلى سنة 1929 ، وكان صاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ / عبد القادر حمزة ، وما يهمنا في هذا المقام المقالات المتأخرة ، أما المقالات النقدية القديمة فهي تقوم بمهمتها الكبرى في دعم الفهم الجديد للأدب بإعادة نشرها وتيسير الرجوع إليها في كتاب بعد أن كانت مبعثرة في الصحف السيارة .

وفي واقع الأمر أن أستاذنا / العقاد قد أهدى تاريخ أدبنا العربي الحديث بذلك جهدًا عظيمًا بجمعه لمعظم مقالاته ونشرها في كتب ، أذكر لك منها : (بحوث في اللغة والأدب) ، صدر سنة 1970 ، بعد وفاته ، و (بين الكتب والناس) ، صدر سنة 1952 ، و (ساعات بين الكتب) ، صدر سنة 1929 ، و (على الأثير) ، صدر سنة 1953 ، و (الفصول) ، صدر سنة 1922 ، و (مراجعات في الآداب والفنون) ، صدر سنة 1926 ، و (مطالعات) ، صدر سنة 1956 ، وغيرها ، وغيرها .

مقالات العقاد لم تكف بعد عن مهاجمة القديم ، ولكن بطريقة هادئة جدًا هذه المرة ، وعادلة تتحرى الحق ، وتعمد إلى الشرح والإفهام قبل الهجوم العنيف والصخ المباشر ، ولتقرأ معي مثالاً على ذلك ، وليكن مقالتيه عن (الأدب كما يفهمه الجيل) ، وأذكر لك هنا أن هاتين المقالتين نشرتا بمجلة (المشكاة) ، المقالة الأولى نشرت في منتصف شهر يناير سنة 1923

، في الصحيفة الثالثة من المجلة ، أما المقالة الثانية التي نشرتها نفس المجلة فيرجع تاريخها إلى أول فبراير من نفس العام ، ونجدها في الصحيفة الأولى من المجلة .

هاتان المقالتان المطالع لهما يجد فيهما الأستاذ / العقاد يضع المقياس الحي والقوي لمعنى الأدب في ذاته ، وفي علاقته بالحياة ، وفي قدرته على تطويرها والنهوض بها ، وفي سبيل ذلك يشجب العقاد المعنى الرخيص للأدب ، والذي ينتشر في عصور الضعف ، وهو أنه وسيلة للتلهي والتسلية ، وهذا المعنى للأدب طالما نسبه العقاد إلى رجال المدرسة القديمة في فهمها للأدب ، وفي إقبالهم عليه ، واحتفائهم به .

مقالة العقاد : (القديم والجديد) يعرض فيها فكرته الرائعة في تحرير أبعاد هذه القضية الخطيرة التي لعبت أدوارًا شتى في الحياة الأدبية والفكرية والإجتماعية لبلادنا ، والذي يلفت النظر أن الأستاذ مازال مقيمًا على شجب الموقف التقليدي في فهم الأدب وإبداعه ، وهو يقرر في مطلع مقالته تعريفًا يرى أنه المزية المطلوبة في الأديب ، هذا التعريف يراه غير قابل للخلاف من أحد الفريقين : المجددين والقدماء ، إن شرط الأدب عنده أن يكون مطبوعًا على القول ، أي غير مقلد في معناه ولفظه ، وأن يكون صاحب هبة في نفسه وعقله ، لا في لسانه فحسب ، أي يجب أن تسأل نفسك بعد قراءته : ماذا قال ؟ ، لا أن يكون سؤالك كله : كيف قال ؟ ، فهو مطالب بشيء جديد من عنده ينسلب إليه وتتعلق به سمته ، ويخرجه عن أن يكون نسخة مكررة لمن تقدمه .

هكذا يقرر العقاد في كتابه (المطالعات) ، وفي مقالته المنشورة في البلاغ بتاريخ 15 أبريل 1924 ، والرجل يؤكد لنا أن كل من كتب على أسلوب من تقدمه في الفكر واللفظ فليس بأهل لأن يعد من الأدباء النابهين ، وهو ليس بذي هبة مأثورة في الأدب ، لأنه مقلد يحتذي مثال غيره .
أقول لك : إن كتاب (مطالعات في الكتب والحياة) للعقاد بما فيه من مقالات سابقة أو لاحقة يعتبر نشره خطوة مهمة نحو التأكيد والتقدم بالمفهومات الجديدة التي يجب أن تسوده ، والتي في مجرد إذاعتها تأكيد

لشجب الإتجاه التقليدي الذي يقف له العقاد بالمرصاد ، ولكن العقاد في هذه المقالات المهمة لا يستخدم العنف بل يهتم بالقضايا يعرضها ، وبالأفكار يشرحها ، على نحو يصل منه إلى ما يريد من رفع إتجاه ، وشجب آخر بأسلوب موضوعي متكامل .

عن السيرة الذاتية :

وأذكر لك هنا أن الأديب / طاهر الطناحي صديق العقاد ، ورئيس تحرير مجلة الهلال القاهرية التي كان يكتب فيها العقاد ، اقترح عليه كتابة سيرته الذاتية ، فوافق الأستاذ وأرسل إلى المجلة مقالات متفرقة عن حياته جمعت بعد وفاته في كتاب واحد .

ويقول الأستاذ الطناحي : إنه في نحو السابعة والخمسين من عمر العقاد اقترح عليه أن يكتب كتابًا عن حياته ، فأجابه : سأكتب هذا الكتاب ، وسيكون عنوانه (عني) ، وسيتناول حياتي الشخصية ، وحياتي الأدبية والسياسية والاجتماعية .

كان هذا الحديث في أواخر سنة 1946 ، وكان العقاد قد كتب للمجلة المذكورة قبل ذلك مقالتين هما : (بعد الأربعين) و (وحي الخمسين) ، فاعتزم الأستاذ / الطناحي أن يستكتبه في الهلال سائر فصول هذا الجانب إلى نهايته على أن يتم بعد ذلك جمعه في كتاب منفرد ، وكان أول ما كتبه بهد هذا الاتفاق مقالة بعنوان (إيماني) في يناير 1947 ، ثم مقال (أبي) إلى آخر ما كتبه من الفصول التي قربت على الثلاثين فصلاً .

فأخذ الأستاذ / الطناحي في جمع هذه الفصول ، وضم إليها فصول نشرتها مجلات أخرى غير الهلال ، وما كاد أن ينتهي من جمعها حتى مرض وعاجلته المنية وصعدت روحه راضية مرضية على رحاب باريها ، فرأى أنه من الوفاء نشر هذا الكتاب ، واختار له عنوان (أنا) ، فقد كان الأستاذ يترك للطناحي اختيار عناوين بعض مقالاته وكتبه التي تنشرها دار الهلال ، وما ذكرناه لك ـ عزيزي القارئ ـ تجده في مقدمة الأديب / طاهر الطناحي لكتاب (أنا) لعملاق الفكر العربي الأستاذ / عباس محمود العقاد .

وأذكر لك هنا أيضًا أن العقاد له كتاب بعنوان (حياة قلم) ، ويقال أنه بدأ في كتابته سنة 1957 ، وفي الكتاب أحاديث شيقة ممتعة عن حياته الإجتماعية والسياسية من بداياتها حتى ثورة 1919 ، وقد كان في عزمه أن يكمله ، ولأمر ما وقف به هذا الموقف .

التقدير :

ترجمت بعض كتب العقاد إلى اللغات الأجنبية ، فترجم كتابه المعروف (الله) إلى اللغة الفارسية ، كما نقلت عبقرية محمد ، و عبقرية علي ، وأبو الشهداء الحسين ، إلى اللغة الفارسية ، والأردية ، والملاوية ، كما ترجمت بعض كتبه إلى اللغات : الإنجليزية والألمانية والفرنسية والروسية ، وأطلقت كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر الشريف على إحدى قاعات محاضراتها ، وسمي باسمه أحد شوارع القاهرة ، وهو شارع (عباس محمود العقاد) ، والذي يقع في مدينة نصر بشرق القاهرة .

ومنحه الرئيس الراحل / جمال عبد الناصر جائزة الدولة التقديرية في الآداب ، كما منحته جامعة القاهرة درجة الدكتوراه الفخرية .

كما أنتج التلفزيون المصري مسلسلاً بعنوان (العملاق) يحكي قصة وتاريخ الكاتب الكبير ، ويتناول عصره والأدباء والشعراء الذين التقى بهم في حياته وكفاحه ، كما يبرز المسلسل المناخ الفكري والسياسي في زمن العقاد ، ومدى تأثيره على حياته ، وعلاقته العاطفية بالأديبة اللبنانية / مي زيادة ، ومحبوبته / سارة ، والتي كتب عنها رواية باسمها ، وعلاقته بصديق عمره الأديب / إبراهيم عبد القادر المازني ، وتم عرض المسلسل لأول مرة في عام 1979 ، وهو من إخراج المخرج المصري / يحيى العلمي .

وقد قام بتمثيل هذا المسلسل مجموعة كبيرة من الممثلين المصريين : محمود مرسي في دور عباس محمود العقاد ، شهيرة في دور مي زيادة ، أسامه عباس في دور إبراهيم المازني ، عبد الرحمن أبو زهرة في دور طاهر الجبلاوي ، سميرة محسن في دور روز اليوسف ، صفاء أبو السعود في دور سارة ، هناء ثروت في دور هناء ، شيرين في دور الفتاة الإنجليزية ، ناهد سمير في دور أم عباس العقاد ، بدر نوفل في دور ناظر المدرسة ،

ماجدة الخطيب في دور قمر ، كما شارك بالتمثيل كل من : عبد العزيز أبو الليل ، صبري عبد العزيز ، علي الشريف ، رشاد عثمان ، سلامة إلياس ، عبد الرحيم الزرقاني ، محمود رشاد ، محسن محي الدين ، نوال فهمي ، شوقي بركة ، أحمد أباظة .

وكان عدد حلقات المسلسل 17 حلقة ، راجين من المسئولين في التليفزيون المصري إعادة هذا المسلسل أكثر من مرة ليكون خير زاد ثقافي وفكري لشبابنا ؛ الذي يبحث عن القدوة والمثل الأعلى في هذا الزمن الصعب .

(16)

هؤلاء كتبوا عن العملاق ..

وأذكر لك فيما يلي بعض الكتاب والباحثين الذين كتبوا عن العقاد بشكل مباشر واستفدنا منهم :

ـ الدكتور / جابر قميحة ، منهج العقاد في التراجم الأدبية ، القاهرة ، 1980
ـ الأستاذ / الحساني عبد الله ، فلسفة الجمال عند العقاد ، رسالة ماجستير بمعهد الدراسات العربية .
ـ الأستاذ / رجاء النقاش ، العقاد بين اليمين واليسار ، بيروت ، 01973
ـ الأستاذ / سامح كريم ، ماذا يبقى من العقاد ؟ ، بيروت ، 1978
ـ دكتور / شوقي ضيف ، مع العقاد ، العدد 259 ، سلسلة اقرأ ، دار المعارف ، القاهرة
ـ الأستاذ / طاهر الجبلاوي ، مع العقاد في ظل العقيدة الوطنية ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، 1991
ـ الأستاذ / عامر العقاد ، لمحات من حياة العقاد المجهولة ، دار الفكر العربي ، القاهرة
ـ الأستاذ / عامر العقاد ، معارك العقاد السياسية ، بيروت ، 1973
ـ الأستاذ / عامر العقاد ، معارك العقاد الأدبية ، بيروت ، 1971
ـ الدكتور / عبد الحي دياب ، العقاد ناقدًا ، القاهرة ، 1966
ـ الأستاذ / العوضي الوكيل وآخرون ، العقاد : دراسة وتحية ، القاهرة ، 1959
ـ الأستاذ / محمد راسم الجمال ، عباس العقاد في تاريخ الصحافة المصرية ، رسالة ماجستير ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة
ـ الأستاذ / محمد خليفة التونسي ، فصول من النقد عند العقاد ، القاهرة ، 1954

ـ الأستاذ / محمد عبد الهادي محمود ، مقدمة لدراسة العقاد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1975
ـ الدكتورة / نعمات أحمد فؤاد ، الجمال والحرية الشخصية الإنسانية في أدب العقاد ، من سلسلة اقرأ ، دار المعارف ، القاهرة ، عدد مارس 1980
ـ الأستاذ / مصطفى كمال أحمد ، السياسة في إسلاميات العقاد ، القاهرة ، بدون تاريخ
ـ الأستاذ / محمد عبد الغني حسن ، أصحاب الأساليب الحديثة ، مقالة بمجلة الهلال القاهرية ، 1973
ـ الأستاذ / جمال بهجت حسن ، أدب العقاد بين الصحافة والسياسة ، مقالة منشورة بمجلة العربي الكويتية ، العدد رقم 127 ، الصادر في شهر يونيو 1969
ـ الأستاذ / محمود تيمور ، العقاد كما أراه ، مقالة نشرت في مجلة الهلال القاهرية ، العدد الصادر في شهر إبريل ، 1967
ـ الدكتور / إبراهيم مدكور ، العقاد في مجمع الخالدين ، مقالة منشورة بمجلة الثقافة المصرية ، في عددها رقم 40 ، الصادر في شهر إبريل 1966
ـ الأستاذ / محمود صالح عثمان ، العقاد في ندواته ، القاهرة ، بدون تاريخ
ـ الأستاذ / علي أدهم ، مشكلة الشر والألم ، مقالة منشورة في مجلة الهلال القاهرية ، في عددها الصادر في شهر إبريل ، 1967

حول مائدة المعرفة :

سلسلة تقوم علي تفسير وتقريب لكتب مأثورة وأفكار خالدة، أشرف عليها عباس محمود العقاد وعثمان نويه وثروت أباظة، وكتب العقاد مقدمات أجزائها وفصولها، حتي عام 1964

- من مكتبة جدي ، ترجمة عثمان نويه ، يناير 1961.
- الفرد والمجتمع، ترجمة كامل عطا، ابريل 1961.
- خوالد من الأدب الكلاسيكي، ترجمة هيفاء الشنواني، يولية 1961.
- النساء في الادب، ترجمة جلال مظهر ، نوفمبر 1961.
- مقارنات في الأدب الكلاسيكي، ترجمة حبيب سلامة ، فبراير 1962.
- أدباء في الميزان ، ترجمة محمد عناني ، القاهرة 1962.
- الحرب والسلام ، ترجمة طارق فودة، القاهرة 1962.
- من قراءات الأجداد، ترجمة عثمان نويه، سبتمبر 1963.
- الإنسان والطبيعة ، ترجمة الدكتور نظمي لوقا، أبريل 1964.

(17)

مؤلفات العقاد

اسم العمل أو الكتاب	ملاحظات ببليوجرافية
إبراهيم أبو الأنبياء (عليه الصلاة والسلام)	صدر بالقاهرة ، سنة 1953
إبليس	صدر بالقاهرة ، سنة 1955
ابن الرومي : حياته من شعره	صدر بالقاهرة ، سنة 1931
ابن رشد : من نوابغ الفكر العربي	صدر بالقاهرة ، سنة 1953
ابن سينا	صدر بالقاهرة ، سنة 1946
أبو الشهداء : الحسين بن علي	صدر بالقاهرة ، سنة 1945
أبو نواس : الحسن بن هانئ	صدر بالقاهرة ، سنة 1953
أثر العرب في الحضارة الأوربية	صدر عن دار المعارف ، القاهرة ، سنة 1965 ، وصدرت الطبعة الأولى منه سنة 1946
أدباء في الميزان	تحرير / رالف باكليند ، ترجمة / محمد عناني ، تقديم / عباس محمود العقاد ، العدد رقم 7 ، من سلسلة : حول مائدة المعرفة
الاستعمار الاقتصادي : درس من أوربا الشرقية	بدون ناشر أو تاريخ
الإسلام دعوة عالمية	دار الهلال ، القاهرة ، سنة 1970



الإسلام في القرن العشرين : حاضره ومستقبله	الطبعة الثانية ، القاهرة ، سنة 1969 ، وصدرت طبعته الأولى سنة 1954
الإسلام والاستعمار	صدر بالقاهرة ، سنة 1957
الإسلام والتجديد في مصر	تأليف / شارلز آدمس ، ترجمة / عباس محمود العقاد
أشتات مجتمعات في اللغة والأدب	صدر بالقاهرة ، سنة 1963
أفيون الشعوب (المذاهب الهدامة)	طبعة مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة
الحداد يليق بالإلكترا	بالاشتراك مع مجموعة من الكتاب
الحكم المطلق في القرن العشرين	صدر في القاهرة ، سنة 1928 ، وكانت مصر في ذلك الوقت قد احتكمت بالحكم الدكتاتوري ، زكان موسيليني قد ظهر في إيطاليا ، فألف كتابه هذا وحمل فيه على الحكم الاستبدادي حملة شعواء ، وأبان فساده
الخطر اليهودي ـ بروتوكولات حكماء صهيون	ترجمة / محمد خليفة التونسي ، تقديم / عباس محمود العقاد
الله : نشأة العقيدة الإلهية	صدر بالقاهرة ، سنة 1947
المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد	دار الكتاب اللبناني ، بدون تاريخ
ألوان من القصة القصيرة في الأدب الأمريكي	صدر بالقاهرة ، سنة 1954
أنا	دار الهلال ، القاهرة ، سنة 1964 ، بتقديم / طاهر الطناحي

الإنسان في القرآن الكريم	صدر بالقاهرة ، سنة 1961
بحوث في اللغة والأدب	صدر بالقاهرة ، سنة 1970
برنارد شو	صدر بالقاهرة ، سنة 1950
بنجامين فرانكلين	صدر بالقاهرة ، سنة 1957
بين الكتب والناس	صدر بالقاهرة ، سنة 1952
تجديد التفكير الديني الإسلامي	تأليف / محمد إقبال ، ترجمة / عباس محمود العقاد ، مراجعة / عبد العزيز المراغي ، ومهدي علام
تذكار جيتي (جوته أمير الشعر الألماني)	صدر بالقاهرة ، سنة 1932
التعريف بشكسبير	صدر بالقاهرة ، سنة 1958
التفكير فريضة إسلامية	صدر بالقاهرة ، سنة 1957 ، ثم صدرت طبعة له سنة 1962
الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبرانيين	صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ، سلسلة المكتبة الثقافية ، كما أن له طبعة صدرت سنة 1960
جحا الضاحك المضحك	صدر بالقاهرة ، سنة 1956
جميل بثينة	صدر بالقاهرة ، سنة 1944
جوائز الأدب العالمية (مثل جائزة نوبل)	صدر بالقاهرة ، سنة 1964
حقائق الإسلام وأباطيل خصومه	صدر بالقاهرة ، سنة 1957
حياة المسيح في التاريخ ، وكشوف في العصر الحديث	صدر بالقاهرة ، سنة 1966
حياة قلم	مطبعة غريب ، القاهرة ، بدون تاريخ

خلاصة اليومية	دار الهلال ، القاهرة ، سنة 1912 (أول كتب العقاد تقريبًا) ، ولنفس الكتاب طبعة بيروتية صدرت سنة 1970
خلاصة اليومية والشذور	طبعة 1968 ، القاهرة
دائرة المعارف الإسلامية	بالاشتراك مع آخرين ، صدرت عن دار الشعب بالقاهرة
داعي السماء : بلال ـ رضي الله عنه ـ مؤذن الرسول (صلى الله عليه وسلم)	صدر بالقاهرة ، سنة 1945
دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية	صدرت بالقاهرة ، سنة 1969
الديمقراطية في الإسلام	صدر بالقاهرة ، سنة 1952
دين وفن وفلسفة	بدون ناشر أو تاريخ
ديوان ابن الرومي	اختيار وتصنيف / كامل الكيلاني ، تقديم / عباس محمود العقاد
ديوان أشباح الأصيل	صدر بالقاهرة ، سنة 1921
ديوان أشجان الليل	صدر بالقاهرة ، سنة 1928
ديوان أعاصير مغرب	صدر بالقاهرة ، سنة 1942
ديوان العقاد ، في أربع أجزاء	صدر بالقاهرة ، سنة 1928
ديوان بعد الأعاصير	صدر عن دار المعارف ، بالقاهرة ، سنة 1950
ديوان عابر سبيل	صدر بالقاهرة ، سنة 1937

الديوان في النقد والأدب	عباس محمود العقاد وعبد القادر المازني ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، صدر في أبريل سنة 1921 ، والجزء الثاني صدرت طبعته الأولى في فبراير سنة 1921 ، وقد خصص الكتاب لنقد أعلام الجيل الأدبي السابق عليهما ، مثل : (شوقي) و (المنفلوطي) ، و (الرافعي)
ديوان ما بعد البعد	صدر بالقاهرة ، سنة 1966 ، جمعه وأعده الأستاذ / عامر العقاد ، ابن شقيق الأستاذ / العقاد
ديوان من دواوين	صدر بالقاهرة ، سنة 1958
ديوان هدية الكروان	صدر بالقاهرة ، سنة 1933
ديوان وحي الأربعين	الطبعة الأولى ، صدرت بالقاهرة ، سنة 1933 ، وله طبعة صدرت سنة 1942
ديوان وهج الظهيرة	صدر بالقاهرة ، سنة 1917
ديوان يقظة الصباح	صدر بالقاهرة ، سنة 1916 ، ويعد أول دواوينه الشعرية ، وقد احتوى الديوان على قصائد عديدة ، منها : (فينوس على جثة آدونيس) ، وهي مترجمة عن شكسبير ، وقصيدة (الشاعر الأعمى) ، و (العقاب الهرم) ، و (خمارويه وحارسه) ، و (رثاء أخ) ، كما ترجم فيه قصيدة (الوداع) للشاعر / الأسكتلندي برينز

ذو النورين عثمان بن عفان (رضي الله عنه)	صدر بالقاهرة ، سنة 1954
رباعيات الخيام	ضمن مجموعة من الكتاب
رجال عرفتهم	دار الهلال ، القاهرة
رجعة إلى أبي العلاء	صدر بالقاهرة ، سنة 1939
الرحالة (كاف) عبد الرحمن الكواكبي	صدر بالقاهرة ، سنة 1959
رواية قمبيز (لأحمد شوقي) في الميزان	صدرت طبعته الأولى بالقاهرة ، سنة 1931
روح عظيم : المهاتما غاندي	صدر بالقاهرة ، سنة 1948
زعيم الثورة / سعد زغلول	بدون ناشر أو تاريخ
سارة	صدرت بالقاهرة ، سنة 1937 ، وهي روايته الوحيدة ، وأصلها عدة مقالات عنوانها (مواقف في الحب) ، كتبها لمجلة (الدنيا) التي كانت تصدرها دار الهلال بالقاهرة ، وجمعها بعد ذلك في كتاب
ساعات بين الكتب	صدر بالقاهرة ، سنة 1914 ، ثم سنة 1929 ، ثم أضاف إليه ، وأعاد طبعه سنة 1937 ، كما أن له طبعة بيروتية صدرت في سنة 1969
سبحات الخيال	صدر بالقاهرة ، سنة 1961

ستالين في رأي خلفائه	تأليف / نيكيتا خروتشوف ، ترجمة / ماهر نسيم ، تقديم م عباس محمود العقاد
سعد زغلول : سيرة وتحية	طبعة 1936 ، القاهرة
سن يانسن : أبو الصين	صدر بالقاهرة ، سنة 1952
شاعر الغزل : عمر بن ربيعة	صدر في عام 1943 ، وأعيد نشره في عام 64 / 1965 ، كما صدر ضمن سلسلة (إقرأ) ، في عددها الثاني ، والتي تصدرها دار المعارف بالقاهرة
شاعر أندلسي وجائزة عالمية	وهو عبارة عن دراسة للشاعر الأسباني / جوان رامون خمينيز ، الحاصل على جائزة نوبل في الآداب عن 1956 ، وصدر هذا الكتاب أكثر من مرة ، منها سنة 1960
شذور	صدر عام 1915 بالقاهرة ، وأعيد نشره عن مطبعة المعاهد الدينية بمصر سنة 1965
شذور والإنسان الثاني	القاهرة ، سنة 1913
شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي	صدر سنة 1949 ، وأعيد طبعه أكثر من مرة منها سنة 1965 و سنة 1972 عن سلسلة كتاب الهلال بالقاهرة ، ولكن طبعته الأولى يرجع تاريخها إلى سنة 1937
الشيخ الرئيس / ابن سينا	صدر بالقاهرة ، سنة 1946

الشيوعية والإسلام	بالاشتراك مع الأستاذ / أحمد عبد الغفور عطا ، وصدر في سنة 1956 ، والمعروف أن العقاد كان يمقت جميع المذاهب المستبدة ، مثل الشيوعية ، والنازية ، والفاشية ، والصهيونية
الشيوعية والإنسانية	صدر بالقاهرة ، سنة 1955 ، ولنفس الكتاب طبعة أخرى صدرت سنة 1956
الشيوعية والوجودية	صدر بالقاهرة ، سنة 1956
الصديقة بنت الصديق (السية / عائشة ـ رضي الله عنها)	صدر عن دار الهلال بالقاهرة ، سنة 1956 ، ولكن طبعته الأولى ترجع إلى سنة 1943
صديقنا المشترك	بالاشتراك مع آخرين ، صدر بالقاهرة ، سنة 1961
صقر قريش (عبد الرحمن بن معاوية الداخل)	تأليف : علي أدهم ، تقديم / عباس محمود العقاد
الصهيونية العالمية	صدر بالقاهرة ، سنة 1955
ضرب الإسكندرية في 11 يوليو	صدر بالقاهرة ، سنة 1952
طوالع البعثة المحمدية	صدر بالقاهرة ، سنة 1955

عالم السدود والقيود	صدر بالقاهرة ، سنة 1937 ، وهذا الكتاب عبارة عن عدة مقالات ، كتبها بعد خروجه من السجن ببضعة أعوام ، لمجلة (كل شيء) ، عنوانها (حياة السجن)
عبقري الإصلاح والتعليم (الأستاذ الإمام الشيخ / محمد عبده)	صدر بالقاهرة ، سنة 1961
عبقرية الإمام (الإمام / علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه)	صدر بالقاهرة ، سنة 1949
عبقرية الصديق (الخليفة الراشد الأول / أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه)	صدر بالقاهرة ، في سنة 1943 ، وأعيد طبعها في سنة 1950
عبقرية المسيح (عيسى بن مريم ـ عليه السلام)	صدر بالقاهرة ، سنة 1953
عبقرية خالد (القائد العربي / خالد بن الوليد)	صدر بالقاهرة ، سنة 1945
عبقرية عمر (الخليفة الراشد الثاني / عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه)	صدر بالقاهرة ، في سنة 1941 ، وأعيد طبعها في سنة 1942
عبقرية محمد (رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام)	صدر بالقاهرة ، في سنة 1941 ، وطبعت مرة أخرى سنة 1942

عرائس وشياطين	صدر بالقاهرة ، سنة 1945
عقائد المفكرين في القرن العشرين	صدر بالقاهرة ، سنة 1958 ، وقد صدر كتاب آخر بالقاهرة ، سنة 1948 ، يحمل عنوان : عقائد المفكرين ، ويبدو أنه نفس الكتاب
على الأثير	مجموعة من الأحاديث الإذاعية التي ألقاها في الإذاعة المصرية ، صدر بالقاهرة ، سنة 1953
عمر بن أبي ربيعة	صدر بالقاهرة ، سنة 1943
عمرو بن العاص	صدر بالقاهرة ، سنة 1944
غاندي	صدر بالقاهرة ، سنة 1948
الغربال	تأليف الشاعر المهجري / ميخائيل نعيمة ، تقديم الأستاذ / العقاد ، صدر بالقاهرة ، في شهر مارس ، سنة 1923
الفارابي (أبو نصر الفارابي الفيلسوف الإسلامي)	لم أعرف تاريخ النشر أو مكانه
فاطمة الزهراء والفاطميون	صدر بالقاهرة ، سنة 1953
فرنسيس بيكون	صدر بالقاهرة ، سنة 1945
فصول	مقالات أدبية واجتماعية وخطرات وشذور ، صدر بالقاهرة ، سنة 1922 ، وهناك كتاب آخر يحمل نفس الاسم ، صدر سنة 1929
فلاسفة الحكم في العصر الحديث	صدر بالقاهرة ، سنة 1950
فلسفة الثورة في الميزان	صدر بالقاهرة ، سنة 1954

فلسفة القرآنية	صدر بالقاهرة ، سنة 1947
في بيتي	صدر بالقاهرة ، سنة 1945
قائد الأعظم : محمد علي جناح	صدر بالقاهرة ، سنة 1952
القرن العشرون ما كان وما سيكون ؟	صدر بالقاهرة ، سنة 1959
قصص قصيرة	مجموعة من القصص الأجنبية ، ترجمة / عباس محمود العقاد
قيم ومعايير ما قلناه وما حققته الأيام	صدر في بيروت ، دار الجيل ، سنة 1947
لا شيوعية ولا استعمار	صدر بالقاهرة ، سنة 1957
اللغة الشاعرة (مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية)	صدر بالقاهرة ، عن مكتبة الأنجلو المصرية ، سنة 1960
لمحات من حياة العقاد المجهولة (آراء ومقالات وأقوال)	بدون تاريخ
ما يقال عن الإسلام	صدر عن دار الهلال القاهرية ، سنة 1963
مجلة تراث الإنسانية	أشرف عليها وحررها مع آخرين ، يمكن مراجعة الأعداد من 1 إلى 10 ، والمجلد الثامن من المجلة
مجمع الأحياء	صدر بالقاهرة ، سنة 1929
محمد إقبال	بالاشتراك مع الدكتور / طه حسين ، ومجموعة من الكتاب الآخرين
محمد الإنسان والرسول (صلى الله عليه وسلم)	رأي للعقاد ومجموعة من الكتاب الآخرين

المختار من كتاب العمدة ، لابن رشيق القيرواني	اختاره / طاهر الجبلاوي ، وراجعه / عباس محمود العقاد
مذهب ذوي العاهات	مجموعة مقالات عن الشيوعية والحركات الهدامة ، جمعها وأعدها / محمود أحمد العقاد
المرأة في القرآن	صدر بالقاهرة ، سنة 1959
مراجعات في الآداب والفنون	صدر بالقاهرة ، سنة 1926
مطالعات	صدر بالقاهرة ، سنة 1956
مطالعات في الكتب والحياة	المكتبة التجارية ، القاهرة ، سنة 1924
مطلع النور (أو طوالع البعثة المحمدية)	
معاوية بن أبي سفيان في الميزان	صدر بالقاهرة ، سنة1956
المعرفة عند مفكري المسلمين	تأليف الدكتور / محمد غلاب ، مراجعة / عباس محمود العقاد
مقارنات في الأدب الكلاسيكي	ترجمة / حبيب سلامه ، ترجمة وتعريف / عباس محمود العقاد
مقال عن الحرية	ضمن مجموعة من الكتاب

من قراءات الأجداد	العدد 8 ، سلسلة حول مائدة المعرفة ، تفسير وتقريب لكتب مأثورة وأفكار خالدة ، ويشتمل على عدة مقالات ، يشرف على السلسلة الأساتذة : عباس محمود العقاد ، د . عثمان نويه ، ثروت أباظة
الموسوعة التيمورية	من تأليف / أحمد تيمور باشا ، (من كنوز العرب في اللغة والفن والأدب) ، تقديم / عباس محمود العقاد
ناجي : حياته وشعره	بقلم / صالح جودت ، تقديم / عباس محمود العقاد
النازية والأديان	صدر بالقاهرة ، سنة 1940
نساء في الأدب	بدون ناشر أو تاريخ نشر
هتلر في الميزان	صدر في القاهرة ، سنة 1940
هذه الشجرة والإنسان الثاني	صدر بالقاهرة ، سنة 1945
اليد القوية في مصر	صدر بالقاهرة ، سنة 1928
يسألونك	دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، وله طبعة أولى صدرت سنة 1946 ، بالقاهرة

الفهرس